امرأةُ ظِلٍّ الياسمينة

سمية طه ياسين

امرأةُ ظلٍّ اليَاسمينَة
سمية طه ياسين
البريد الإلكتروني : sumaya.taha@gmail.com

الطبعة الأولى
جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة ، صنعاء 2013
ترخيص رقم (2013/240)

تصميم التقرير
سنونو - اليمن
www.snono.com

امرأةُ ظلِّ اليَاسمينَة

نقاط ضوء..(بعيدًا عن الظلّ)

تتبدى في ثنايا هذه الرسائل الثلاثين تجربةٌ فياضةٌ تريدُ أن تخطَّ لها مكانًا في سماء (الإبداع)، بما تمتلكه من رؤى شعريةٍ تكتسي بلوحات جمالية، تعضّدها (ثقافةٌ) تجلتْ في (معرفة إنسانية) ، كشفتْ لي أنها – أي التجربة - ليست في بداية الطريق، ولكنها توشكُ أن تعتلي تلة الإبداع بجدارة.. ولابُدّ من الإشارة إلى أنّ (عنوان) أي عمل إبداعي هو أول ما يشدُّ الانتباه (سلبًا أو إيجابًا)، والعنوان الذي (اختارته) (المبدعة سميّة) لديوانها، يفجِّر الكثير من القراءآت، بما يحمله من إيحاءات جمالية دقيقة، فالظلُّ يدلُّ على (التواري والاختباء) ويدلُّ على (الاحتماء من قسوةٍ خارجية) ويدلُّ على (عدم الرغبة في كشف الذات) أو (التردّد في ذلك) ولكن حين يضاف الظِلُّ إلى (شجرة الياسمين) ويضاف الجميع إلى (المرأة) بصيغة (النكرة) تتداعى تصورات كثيرة، تؤدي بالقارئ إلى أنْ يدلف سريعًا إلى النصوص نفسها عله يجد ما يروي تعطشه للمعرفة، وسيدرك ذلك فعلًا، ولكنْ أنَّى له أن يدرك كلّ المراد، وهذا من شأنِ كلِّ إبداع، فلا غرابة.

يشعرُ القارئ بتتالي الأنفاس الشعرية، ودورانها حول حلقة واسعة، لا تخرج منها المبدعة إلا لكي تعود إليها، وتحتاج في هذه الحركة إلى تركيزٍ كبير لتحافظ على (رسمِ الشخصية) كما أرادتْ، حتى وإن بدا للقارئ: التكرار، وأحيانًا التناقض، وأخرى التسامح ثم الكراهية، ثم التسامح، وكذا الانهيار والتراجع ثم الانطلاق والتسامي، ولكنني أشعر أن هذا الذي يبدو (اضطرابًا) في الانتاج الشعري، لا أراه – أنا – إلا أداةً شعرية مقصودة من المبدعة، لترسم في نصوصها شيئًا، ربَّما، خارج المألوف، تريد من خلال ذلك تحويل شخصياتها إلى (نموذج) يصلح أن يكون (إنسانيًا) بالرغم من ملامح الأحداث والمواقف المصاحبة التي انطلقت من اليمن بل من صنعاء بل من أحد أحياء أمانة العاصمة صنعاء. كلُّ ذلك يفتح الطريقَ أمام المبدعة (سمية طه ياسين) أن تجعل من إنتاجها مجالًا يحفر هويتَه نحو (الإنسانية/ العالمية) في الرؤى والتشكيل، متجاوزة بعض (التمردات) التي تخرج بأسلوبها عن الإرادة الشعرية الجمالية .

سمية طه ياسين :

أتمنى أن يتواصل نضالك، ومؤشرات (الكلمة) تدلُّ على تصميم على النجاح، وأظنُّ أنّ (ثبات قدمك) على (أرضٍ صلبة) قد بدت بارقته.

تمنياتي لكِ بالتوفيق،،

د. رياض القرشي
صنعاء - **4/4/2013**

إهداء

كل النساء يولدن من نار جهنم،
ويغتسلن بماء الرحمة ليصبحن آدميات..

إلا أنتِ؛

إلى روحِ أمي الآتية من رحم السحاب..

أهدي إلى عينيك اللتين لطالما تطلعتا إليَّ بفخرٍ وأملٍ، باكورة كتبي؛

إلى أمّي التي آمنت بي وبما أكتبه، وانتظرت طويلًا صدور أي كتابٍ
لي حتى وافتها المنية ولم تدرك ذلك.

أخلدك في أولى صفحات هذا الكتاب الذي تطلعت إليه ولم تريه،

إلى أمي الحبيبة/ صفية علي قحطـــــــان.

خوف البداية

الذين يكتبون باستمرار إما أن يفقدوا أجزاء منهم ويصبحوا خاليين، أو أنهم بحاجة دائمة لبذل جهد كبير للحفاظ على أنفسهم من التلاشي في كتاباتهم.

لأعوامٍ طويلة توقفت عن الكتابة لأنها تشعرني بالخواء، ولأني لا أستطيع ملاحقة سيل أفكاري حين تأتي، ولأني أحيانًا لا أجد ما أكتب عنه، وأقول سأكتب عن شيء أعرفه جيدًا، لكني لا أعرف جيدًا أي شيء؛ لذا توقفت!

الآن عندما عدت للكتابة أدرك أن المرء يمكن أن يكون متفرجًا من زاويته الخاصة، ويكتب الحياة بلغته الخاصة، ما يشاهده، ما يتعلمه، الأخطاء التي يرتكبها والتجارب واللحظات، الأشياء الصغيرة التي تتكون منها الحياة.

حركة الحياة ومدها الجارف سيخلد طويلًا، ونحن راحلون بصمت بعد البقاء في هذه الحياة لبعض الوقت، أو يمكننا أن نكتب ونبقى لوقتٍ أطول بهذه الطريقة.

مع إيماني بأهمية الكتابة ومحاولاتي لدفع الآخرين ليكتبوا أيضًا وينشروا ما يكتبونه، يراودني قلقٌ مما أكتبه وعدم رضا أحيانًا عما أكتبه.. لكن ذلك لن يمنعني من التجريب والمخاطرة، إن لم يكن مرةً واحدة فربما مراتٍ عديدة.

أول كتابٍ لي بعد التردد والتراجع طويلًا، احتفظت بمسودته الحميمة في دفاتر مذكراتي لوقت طويل يزيد عن العام والنصف قبل أن أتخذ قراري بنشره، كان مجرد هذيانٍ وكلماتٍ كتبتها لي وليس بنية النشر بتاتًا، كتبتها في وقتٍ عصيب أشغلت نفسي فيه بالتفكير والكتابة حين لا أجد شيئًا أفعله في ظل انقطاع الكهرباء والأوضاع المتأزمة في أواخر ربيع 2011 وبدايات الصيف، بعد أن ملأت دفترين كاملين أخبرت صديقاتٍ لي أني أفكر بنشر هذه الرسائل ككتاب وحمسنني للفكرة، ومن ذلك الوقت وأنا أؤجل الأمر، وربما أنه قد حان الوقت .. شكرًا لكل من دفعني خطوةً.

قصاصة

«قبل البدء حتى»

دخل القاضي بيننا وأقفل الباب

القاضي ... «أنت»

أقفلَ الباب

وأعلنَ الحُكمَ

«لا أُحبُّك»

قبل البدءِ حتى؛ أعلنتَ الحكم

لا محامٍ .. لا دفاع
ولا جلسات استماع

لا محاولاتٍ لاستئناف حكمك
ولا إعادة نظر في الأسباب

و ... "محكمة" ..
أيها القاضي اللئيم ..

محكومٌ علي بالنفي
من جنة الحبِّ ..
مدى الحياة!!

الرسالة الأولى: الليلة الأولى

أريد أن أعوي كذئب جريح على أعلى قمة جبلٍ في أشد الليالي سوادًا ..

أريد أن أبكي كغيمةٍ وأنتهي بالبكاء ..

....
...
..

حزنٌ ماله آخرٌ يسكن روحي ..

أنا التي دفنتك حيًا في طي النسيان ..
حفرت لك قبرًا بيديها
لتشعر باليأس منك !

أشعرُ..
أني أنا التي تموت ..
وأن ثمة ما يمتص روحي مني ..

وأفقد الرغبة في
العيش بعدك ..

الرسالة الثانية: دفنتك تحت شجرة الياسمين

ياليت الموت الذي طواك عني أخذني أنا الآخرى وطواني عن نفسي ..
لكنه يحيك في صدري ضيقًا لا أول له ولا آخر .. يلتهمني على قيد الحياة.

وكيف تكون ميتًا وأنا أعلم أنك حيٌّ في مكان ما .. تمارس حياتك بانطلاق وتعيشها كاملة !

وحدي .. كل التعاسة لي يا حبيبي !

لهذا اخترت لك الموت .. الشيء الوحيد الذي أستسلم أمامه ..
ولولا ذلك لما تركتك تذهب .. ولما حررتك مني !

...

تغمرني مشاعرُ رمادية تلتهم رغبتي في كل شيء ..
تفقد الأشياء طعمها ..
والألوان بهجتها..
أشعر برغبةٍ في البكاء في كل وقتٍ وكلِّ مكان ..
تحرجني دموعي التي تتجمع في عيوني دون إنذارٍ تتدحرج أمام الآخرين دون أن أجد لها مبررًا ..

أنزوي طوال الوقت داخل قوقعة نفسي ..
مثل طفلةٍ تائهة في الظلمة تفضل أن تقبع في ركن تعرفه وإن كان مرعبًا بدلًا من السير في أماكن لا تعرفها ..

واليوم حين احتفل الناس بعيدهم يا حبيبي ..
كنت أنا أرعى شجرة الياسمين ..
وأحفر لك قبرًا تحتها ..
قبرٌ بلا علامات ..
لا يعلم بمكانه سواي ..
دفنت فيه صندوقًا صغيرًا ..
به منديلك المعطر ووردتك التي عطرتها بعطرك .. وسلسلة معدنية معلقٌ بها فتىً وفتاة مربوطان بخيط أحمر .. يرمزان لما ظننته حبنا الخالد ..
أو ما كان مفترضًا به أن يكون ..

وأنا لا أتحدث لأحدٍ يا حبيبي ..
لا أحد سيفهم ما أمر به مهما قلتُ ومهما حكيت ..
كيف هرب حبيبي مني .. وكيف أعتقته عن رضا ..
وكيف عشت أتظاهر بعده أنه ميت، وفوق كل هذا بنيتُ له قبرًا أزوره فيه ..
وبقيت أرجو أن يصحو من موتته هذه وأن يعود لي ..
لأني أعلم يقينًا أنه لم يمت؛
إلا لكي أكفَّ أنا عن انتظاره !

...

الرسالة الثالثة: لمَ أحببتك ؟!

1

لم أذهب لعملي اليوم مع أني كنت متحمسةً جدًا للذهاب بعد إجازةٍ استمرت لثلاثة أيام ..
ممنوعة من الخروج لأسبابٍ أمنية، وبقيت محبوسةً في المنزل طوال النهار..
روحي المتمردة لم تقبل هذا الحبس الإجباري؛ أيًا كان السبب !
لذا بقيت سبع ساعات أعمل في حديقة المنزل التي لم يهتم بها أحد منذ وقت طويل..
كقروية أو كفتيان الغابات تمر الحشرات فوق جسدي أو داخل ملابسي الصبيانية ولا أبالي ..
لو وقفت خلفي لظننت أني صبي بملابسي تلك وشعري القصير وقبعتي المقلوبة ..وربما لن تميزني ..
..

منذ رحيلك وأنا أشعر بوحشة لا متناهية وأقاوم شبح الكآبة بالعمل لساعات طويلة في أعمال مجهدة ..
لا أعود لغرفتي إلا حين أعجز عن تحريك ظهري أو سحب رِجليّ ..
أتناول حبة منوم وأنام لثلاث أو أربع ساعات عميقًا ثم يوقظني منادي الشوق كل ليلةٍ .. عددًا لا متناهيًا من المرات ..

2

الجو يبدو صيفيًا مع أننا لا زلنا في فصل الربيع ..
قمت بأعمالٍ كثيرة..

هذبت شجرة الياسمين حيث قبرك ..
ونزعت الأوراق الجافة ..جمعتها كلها بيدي العاريتين حتى أصبحتا ممزقتين وخشنتين وتؤلماني كثيرًا ..
قلبت التربة واقتلعت الحشائش الضارة ..
سقيت الأشجار وغسلت أحواضها بالماء ..

عملت بجد .. وساعة الغداء هطل المطر غزيرًا ..

شعرت بالفرح وقمت بغسل الممرات المكسوة بالبلاط ..

قطرات الماء الباردة على ظهري ستذكرني دائمًا بشفتيك ودفيء صدرك ..

تناولت غدائي جالسةً في بركة ماء المطر .. ابتلت ملابسي ..
وكنت سعيدة بارتجافة البرد في جسدي، والسعال الذي ينزع صدري نزعًا ..
عدت للمنزل وأخذت حمامًا دافئًا .. وجئت لأكتب لك هذه الرسالة ..

3

أنا والاكتئاب في حربٍ شديدة..
لا أدعه يسكنني ..
لكنه يحاول بشدة أن يملأ ما كنت تسكنه أنت مني ..

أدعي أني قتلتك ودفنتك في باحة المنزل ..
لكن الحقيقة هي أنك قتلتني برحيلك ..
وأنا الآن أقاوم الموت مثل سمكة أخرجت من الماء ..

أحاول التمسك بكل هدوئي ورغبتي في العيش ..
لكني أشتاقك .. أفتقدك ..أحتاجك ..
كحاجة نبتةٍ جافةٍ إلى الماء ..
كحاجة الأرض الميتة لقطر المطر..
أسألك أن تعود حبيبي ..
أو ألا ترحل إن لم تكن قد رحلت !!

4

معلقةٌ روحي بين ثقتي بعودتك ..
وبين يأسٍ شديدً بأني قد فقدتك للأبد ..
لَمَ أشعر الآن أن تفاصيل هذه الفكرة قد مرت علي ألف مرة !!

وكأني عالقة في دوامة أفكاري ..

الناس حولي وحدهم تتبدل وجوههم ..
وروحي المعلقة بين كل المتناقضات ساكنة كالموت ..
لا تؤثر فيها طعنات الاكتئاب لأني أحركها بخيوط وعصي ..
..

أريد أن أصرخ أني اشتقت إليك ..
بأني أتمنى أن تبقى على تواصلٍ معي فقط ..
بعيدًا كنت أم قريبًا .. بأي شكلٍ كان ..
أن تمد لي خيطًا من الحياة يصلني بك ..

آهٍ يا حبيبي .. ما أتعس الكلمات!!
أحاول تحميلها فوق ما تحتمل ..

...

أعرف أنك مستمرٌ بعيش حياتك ..
لكن روحك لا تصلني ..
وأنا أشعر بالاختناق بعيدًا عنك في قوقعتي المظلمة ..
ليتني أعلم إلى أي حدٍ أحبك ..
ألا يكفي هذا الحد من الجنون الذي أعلمه ..
أشعر أنه ما زال تحت الطبقات طبقات من الوله والعشق والتيم بك ..

أي تعويذة ألقيتها على قلبي فأصبح مأسورًا لديك ؟!
الرحمة يا حبيبي ..
زرني ليلةً في مناماتي قليلًا ..

5

حفرة بعمق ألف ألف قدم من الظلام تلتهمني ..
هل روحي معك ؟!
لا أحسها منذ رحيلك ..
الموت يظللني من ذلك الوقت .. وخواءٌ متسعٌ يمتد بدلًا عن روحي

ويا ياسمينتي ظلليه .. قلبي الذي دفنته في القبر وحده يموت ..
أواه يا ساكنًا (قبري) ولستَ فيه .. بعدك لا رغبة لديّ في العيش ..

...

بالأمس تعلمتُ كيف أجمع أشعةَ الضوء الآتية من الشمس ..
أمد يدي تحتها ..
حتى تصبح دافئة ..
ثم أطبق يدي على الدفء ..

...

حرارة الرماد المبلول بالماء بعد انطفاء النار.. أشبه بحرارة الحياة التي تشعلها أنت في جذوة روحي حين أكون معك ..

...

على الأرجوحة في الحديقة .. شعرت بأني أطير للسماء ..
لحظة خالصة من الفرح المعلق بالسماء ..
كذلك الفرح الذي غمرني حين كنت بين يديك ذات مساء ..

...

لم خلقتَ الحب يا إلهي ؟!
ألكي يعاني أمثالي حتى أقصى الوجع!
ألا تكفينا مصائبنا الأخرى ..
حتى نكلل بخيبة الحب؟!

الرسالة الرابعة: لا تأتني ولن آتيك

1

على ضوء الشموع أعد طعام الغداء قبيل الفجر ..
وقتي ضيق وأنا مرهقة لم أنم إلا لمامًا طوال الليلة الماضية ..
آلام يدي لا تدعني أنام بعد ساعات العمل المضني البارحة ..
وإذا كان الآخرون يقاتلون العوائق التي تعترض طريقهم .. فعائقي هي يدي.. التي أصبحت عبئًا إضافيًا بثقلها وبطئها في زحمة الوقت ..

تبدو الأمور صعبة عندما تتجمع بهذا الشكل المعقد..
تتجمع الدموع في عيوني وأمسحها خشية أن يحترق الطعام ..
في وقت كهذا أحتاج أمي ..
أوشك أن يكتمل شهران على بقائها وحيدة في تلك الحفرة..
بأيةِ حالٍ أصبحت يا أمي ؟!

وبالحديث عن عالم الموتى، أصبحتَ جزءًا منه بقرارٍ مني..
بأي حالٍ أنت ؟!
الناس حولي يرحلون ..
أريد أن أرحل أنا الآخرى قبل أُترك وحيدة ..
هل روحي معك؟
قل لي إن كانت روحي معك!
تصحبك وتدفئك بصخبها وتدفق الحياة فيها..
لحظتها سأجد عزائي بأني أعيش كجثة!

2

لست خائفة من الموت حتى لو أتى اللحظة!
أحس بإثارة تجريب شيء جديد..

اتصل بي أحد أفراد عائلتي يخبرني أن الحرب تشتعل في صنعاء .. وأن علي الاسراع بالعودة للمنزل .. شعرت ببعض الخوف ..
إن حدث لي شيء أتمنى أن تعرف بموتي يا فتاي الهارب مني ومن هذه البلاد التي أقام فيها الموت!

لم يبق لي شيء أعيش به أو لأجله ..
أنت .. احتللت الروح والقلب والجسد، وملأتهم شغفًا بك ..
تسكن كل تفاصيلي ..أراك فيها ولا أراني ..
وداعًا حبيبي..
يخيل إلي أني أرى نور السماء، وابتسامة وجه أمي ..
هل سأكون مع أمي الطيبة في سماء واحدة – أنا المخلوق الشرير- ولو لبعض الوقت ؟
أريد أن أحكي لها كل ما لم أحكه لأحد .. وعنك تحديدًا ..

3

السحاب منخفضٌ..
هكذا أحبه ..
بعضه هشٌ مثل خيوط القطن قبل نسجها ..
وبعضه متكومٌ شديد البياض كأنما ينبض في رحمه النور ..
هل لازلت تذكرني كلما شاهدت السحاب ؟

حين أموت سأصبح سحابة أظللك في كل مكان ..

أبكي بدلًا عنك ..
وأتلاشى نيابةً عنك ..
...

هذا الوطن يقتلنا يا حبيبي كل يوم..
بالرصاص .. قهرًا .. ظلماً ..
ماذا يكون هذا الوطن بدوننا ؟

..
أفكر أن ألحقك الخريف القادم ..
نحتفل بعام مضى على أول قبلة ..
وبعام مضى من عذاباتي على يديك ..

4

الحزن يسكن أوردتي وشرايين قلبي !
قل لي أي عدل في هذه الطريقة التي افترقنا بها ..
مسدودة كل طرقي ..
لا أنا التي تريد عودتك .. لأنها أكثر مما أحتمل ..
ولا أحتمل بقاءك بعيدًا عني كل هذا الوقت وبيننا كل هذه المسافة ..
آخٍ ..
لا تفهم أنت ما يحدث لي ..
وتريدني أن أفهم ما يحدث لك ..
أي عذاب هذا؟!
قل لي يا حبيبي ..
كيف أعيش بعدك أو معك بعد كل هذا ؟
على امتداد بصري كل ما أراه هو الموت ..
الموت الذي يسكنني بعد رحيلك ..
ورائحته التي تملأ أنفي ..
حفرت في ملامح قلبي حفرة جوعٍ وشوقٍ لا قرار لها ..
فتحت لي باب موت لا أدري كيف أغلقه ..
لكنْ .. لا تعد ..
لا جدوى من عودتك الآن .. ولا معنى لها ..
لم يعد في حياتي أي سبب لبقائك فيها ..
تريدني أن ألحقك ؟!
لن أفعل ..
أنت الهارب مني .. لن ألحقك ..
أعرف أنك ستعود مثلما تعرف أنت اسمك وملامح وجه أمك ..

ستعود لتجد رمادًا بدل القلب الذي أحبك ..
وخرابًا يعشش مكان الروح التي لحقتك ..
وهذا الجسد الذي تسكن تفاصيله لن يعود سوى لوحٍ خشبيٍ بارد..

5

صوت قذيفة أسمعه الآن .. وقعت في المدينة الخضراء القريبة من هنا ..
منذ الأمس أعلنوها حربًا .. أو هذا ما يقال ..
لسنا خائفين من الحرب .. نحن نمارس حياتنا حتى نجبر على التوقف ..

وحبيبي الهارب بعيدًا عن الوطن الموجوع في هذا الوقت ..
وبعيدًا عني أنا الغارقة في رمال الموت المتحركة..
حبيبي الجبان ..
منذ اللحظة الأولى للقائنا .. هدم كل الجسور بيننا ..
...

لا أستطيع الحديث عن روحي فأنا لا أجدها ..
أحتاج أن أحكي عن شعور قلبي المسحوق تحت وقع كل هذه الأشياء ..
في زحمة الأحداث ..
وركض الأيام التي تدوسني ..
...

الحرب التي تدقُّ نواقيسها ..
الحرب التي تلتهم كل ألوان الحياة ..
والتي تجعل الناس أكثر ضعفًا وجوعًا وحزنًا وخوفًا ..
أرجو ألا تطول .. وأن تنتهي سريعًا ..
كل هذا الوجع أكثر من احتمالي ..
...

أحيانًا أنسى أني أكتب لك رسائلًا .. وأغرق في أحاديث مع نفسي!

اعذرني فهذه الكتابة هي متنفسي الوحيد ..
وهي فرصتي الوحيدة في الحياة بعد أن توقف الآخرون عن منحي فرصًا للبدء بعدك ..
محقون هم .. هل لي أن أبدأ بعدك على أي حال ؟!
لازلت معلقة بك ..
وبانتظارك ..
رغمًا عنك ..
وعني ..

الرسالة الخامسة: سأنتظر عودتك ..

1

فجرًا ..
لا زلت أسمع زخات الرصاص التي ما انقطعت طيلة الليلة الماضية، يمزق شقشقة العصافير التي لاتبدو آبهة له ولا لما يحدث في صنعاء ..
الأُسر الكبيرة تتقاتل ..
وهذا الشعب البائس يقدم أرواحه قرابينًا ..
وليس يدري لماذا!!

قلق ينتابني حول صديقتي التي تسكن قريبًا من المعسكر والأحداث العاصفة ..
طلبت منها أن تأتي لمنزلنا للمبيت هي وأمها وأخواتها .. لكنه لم ترغب بذلك أصلًا ..
اليوم أيضًا لا أستطيع مغادرة المنزل للعمل ..
أصبحت أيامنا متشابهة ..
تذكرني بصيف **94** .. وهذا هو الوقت نفسه من العام أيضًا ..
هل ستكون هذه هي الحرب مرة آخرى؟ .. لست أدري!

2

"أنت " .. كنت حالة الفوضى الوحيدة الثابتة في حياتي ..
وبذهابك عادت حياتي كلها حالات فوضى مجنونة لا استقرار فيها ..
أتساءل عما تحسه "أنت" ؟

أكتب رسائلي إليك بكل فوضى شعوري ..
ولا يأتيني من منفاك الذي نفيتَ نفسك ونفيتُك معك إليه ..
ربما لأن الموتى لا يكتبون يا حبيبي .. ولا يقرؤون الرسائل ..

لا أزال أقرأ في ذلك الكتاب يا حبيبي ..

عشرون صفحة لا أكثر في كل جلسة ..
لا أحتمل قراءة المزيد .. وبعد كل جلسة يسكنني حزن مذهلٌ مرعب..
أتعبد بالقراءة بين الأحرف المسطورة من نزف أرواح البشر ..
وأخشع كما لا أخشع في صلاتي ..
وأرى الله بكماله وجلاله وعظمته كما لم أره في حياتي ..
أسكن الآخرين الذين خطوا الأسطر أو يسكونني ..
وأصاب بالهذيان ..
بحمى المشاعر والأحاسيس التي تتدفق بي وتصيبني بحالة أشبه بسكون مريض تحت تأثيرها ..
أصلي بالكلمات .. وتنسجني الحروف روحًا مولودة من نور !

3

هذه الأيام أعمل بجد في حديقة المنزل ..
أريدها أن تصبح خضراء كجنة صغيرة ..
كأني بانتظار ضيف مهم .. عودة غائب ما ..

لو أن أمي كانت هنا لأحبت عملي فيها ..
هل حقًا أن الموتى لا يعودون ؟!
ألن تعود أمي أبدًا ؟
وأنا التي كنت أظنها لسذاجتي في رحلة قصيرة لترتاح من متاعب الحياة وتعود ..

4

يا حبيبًا يسكنني ..
كل خطوطي الحمراء تلاشت فيك ..

اليوم لا أرغب حقًا في الكتابة إليك ..
لكنني سأكتب رغم الكسل الذي يثقلني، لأني حين أكتب .. أكتب نفسي .. وأكتبك .. وأكتب تاريخ هذه المدينة الصغيرة ..

اليوم أيضًا عالقة في المنزل ..
مغلقة أبواب مدينتي كلها .. وساكنوها كلهم مختبئون في بيوتهم ..
يقولون أنها الحرب .. لكننا لا نعرف تمامًا ما الذي يحدث ؟
لا أحد يعلم أي شيء .. مقطوعٌ عنا التيار الكهربائي وكل وسائل الإعلام.. نرزح تحت ثقل الصمت والعزلة ونشغل أنفسنا باللامبالاة والأشياء التي لا معنى لها !

5

أعيش اليوم في فوضى مشاعر خاصة وألومك عليها كلها ..
برحيلك هذا سنصابُ كلانا بلعنة التعلق بأذيال بعض للأبد ..
أفكر باللحاق بك .. وأشعر بك تناديني ..
لكني لن أفعل في الوقت الحالي .. لا أملك المال ولا القوة لفعل ذلك ..
لحاقي بك يعني إحراق كل سفني هنا .. وقطع سبيلي للعودة ..
وماذا لو رفضتني وقتها أو قاومت شعورك نحوي ؟!
ماذا سيبقى لي ؟ لا شيء أعود إليه ..
لا شيء ..
أنت رجل؛ ولذلك سيغفر لك المجتمع كل أخطائك ونزواتك ..
لكنه لن يغفر لي كوني أحبك وأخبئك بقلبي بهذه الطريقة المجنونة ..
لن تفهم حقًا .. لأنك لن تكون امرأة في هذا المجتمع المريض أبدًا ..
لن يكون لك جسد امرأة ولا قلب امرأة ..
لذا لن تفهم ما حييت !

ما الذي فعلته يا حبيبي ؟
هذه اللعبة القاسية كبيرة علينا .. كيف أدخلتنا فيها بحماقتك ؟
أبقيتني أنتظرك تحت ألف علامة استفهام ..
ليتك أخذتني معك تحت أي مسمى وأي عنوان !

أنا وأنت ارتكبنا من الحماقات الكثير والكثير ..
الآن رحيلك إحداها .. لكن توديعك لي لم يكن حماقة أبدًا ..
ونحن نصحح حماقاتنا بأكبر منها ..
تنعكس حماقاتنا بعيني بعض ..

ونبقى ذينك الأحمقين، وتعودنا على ذلك ..
أرجو ألا يدفع غيرنا ثمن حماقاتنا ..

اليوم خطرت لي الكثير من الأشياء التي رغبت بكتابتها إليك ..
لكني متعبة قليلًا .. أتنفس بصعوبة ..
لهذا لم أستطع كتابة كل شيء إليك ..

6

(بعد أن شعرت بقليل من التحسن أعاود الكتابة إليك)

كنت أعمل في الحديقة وقت الظهيرة ..
فجأة وقع طير صغير ميتًا ..
لم يكن به زغب ولا ريش ..
لم أره .. ولا بقعة الدم التي خلفها ..
أخبرتك مسبقًا أني أخاف الأشياء الميتة ولا أستطيع الاقتراب منها ..
الآن بعد موت والدتي أصبح خوفي أكبر ..
لكن جثمان أمي الحبيبة لم يكن مخيفًا .. وكان لدي الكثير من القوة وقتها لأقبل رأسها وأبقى جوارها .. وأبكي عليها ..

حين أموت .. أريد أن أتلاشى كفراشات النور ..
لا أريد أن أكون جسدًا ميتًا أبدًا .. أفقد ملكيتي له وسيطرتي عليه ..

أشغل نفسي طويلًا بالاهتمام بالنباتات والأعمال التي تحتاج جهدًا كبيرًا وتترك أثرًا جميلًا ..
أحتاج أن أحس جمال الحياة في ظل الخوف المميت الذي نعيشه في هذه الأوضاع الصعبة والتي تجعل بيوتنا كسجون قاسية ..
ورغم الحزن الذي خلفه رحيلك ..أريد أن أحس ببعض الفرح ..

أخشى أن تنتهي أقلامي المفضلة الثلاثة الباقية عندي قبل أن أتمكن من مغادرة المنزل وشراء المزيد ..
أرجو أن تصمد طويلًا حتى تمر الأزمة ..

7

حبيبي ..
أريد أن أثرثر عنك وعني الآن ..
أحبك مثلما أنت على أي حالٍ كنت، بأي مكان وأي زمان ..
أحب أنك تعرف تفاصيلي الأدق في زوايا روحي ..
وأنك وحدك الذي رأيت قليلًا مقدار الشر الذي أخبئه بي ..
أحب كونك ملهمي لأكتب .. وأنك منك تنبثق حرارة الإحساس ودفء الحياة ..
لا تبتعد – أرجوك - أكثر من هذا ..

خذ مساحةً لنفسك وعد لي ..
أنا بانتظارك .. وليس لدي خيار آخر غير الإيمان بأنك لي ..
أريدك أن تعود .. وأريد أن أجد من الحلول ما يجعل حياتنا ممكنة معًا ..
لكنك لا تصغي أبدًا لما أقوله ..
وإلا لما كنت أصفك بحبيبي الأحمق ..
ولولا حماقتك وطيبتك لما أحببتك حد الجنون ..
آهٍ أيها الضائع في متاهات الأسئلة ..
أحبك ..أحبك ..
ليتها تصف هذه الكلمة شعوري .. لكنها لا تفعل ..

وحين أشتاق إليك ..
لا أستطيع ضبط نفسي .. كل أحاديثي تصبح عنك .. تدور حولك ..ترويك كحكاية..
(واحشني موت حبيبي ..قُبلاتي)

الرسالة السادسة: يا وجعي وذنوبي ..

حبيبي ..

المساء يقترب وأنا لم أكتب إليك اليوم أي شيء..
يلفنّي اضطراب مهول من كل أصناف المشاعر ..
أحاول التنفس بعمق فما يزيدني ذلك إلا خبالًا ..

أحتاجك اليوم ..
إنني أذوي من تلك اللعنة التي أصبتني بها ..
تنطفئ الأشياء والرغبات والأنفاس بي تباعًا..
ويداك تقوداني للموت في ممر الظلام الذي أسير فيه ..
حتى الهواء مليء بالحزن اليوم ..
لا أجرؤ على ترديد اسمك المحرم ..
لذا أتمنى أن أقف على التلة أمام منزلي وأصرخ باسمك بأعلى صوتي من أعمق منطقة في قلبي ..
ثم أبكي حتى تنزاح بعض الوحشة التي تملأ فراغات غيابك ..
..
بالأمس كانت صنعاء تشتعل بالنار ..
لم أغادر المنزل .. ولا اليوم ..
أشعر بغير قليل من الاختناق بسبب البقاء حبيسة هنا ..
وأشعر برعب من فكرة مغادرة المنزل، وأعلم يقينًا أن هذه علامة للاكتئاب الذي أقيم فيه بصفة مستمرة مهما قاومت ..

السماء لا تكف عن البكاء هذه الأيام ..
أصبح الجو لطيفًا رغم كل شيء ..
أفتقدك عندما أتطلع للسماء ..
وكلما هطل المطر!!

ليتني أتوقف عن انتظارك .. فهذا انتظار بلا أجل .. وأنا لا أعرف أين ذهبت ولا ما الذي تفعله ولا متى تعود !
أسمع نداءات قلبي لك فأرجو أن تسمعها أنت الآخر .. بعد أن أصبحت عاجزة عن إرسال روحي إليك منذ فقدتها قبل أسبوع !

..

أيها الأحمق المجنون الذي يتركني أئن بالليل وأدمع طوال النهار ..
أحتضر في غيابه ألف مرةٍ كل يوم ..
..
هذا الذي أستمع إلى صوته كل يوم في تسجيل قديم .. يهتاج قلبي ويتورم وجعًا ..
كبالون منفوخ بدخان ..
وأبكي بحرارة كالمطر .. هذا الذي يخشى أن يسعدني لأنه يخشى أن أخرجه عن قانونه في إتعاس الآخرين ..
أي ذنب أذنبته يا إلهي لأعاقب به !

الرسالة السابعة: يا موتي وحياتي

1

يحتاج الناس أسبابًا ليعيشوا ..
حتى البسطاء منهم ..
الثورة كانت ولازالت للكثيرين منهم سببًا حقيقيًا أعطى لونًا لحياتهم ..
النساء في مجالسهن وجدن مواضيع آخرى للثرثرة ..
مع أني لا أؤيد دخول ربات البيوت في نقاشات سياسية لأنها تنتهي مثل مصارعات الديوك !

الشباب وجدوا سببًا ليحسنوا سلوكهم ..
هدفًا كبيرًا يقاتلون من أجله .. يمنحونه بعضًا من طاقاتهم المعطلة وأرواحهم ..
أعرف عجوزًا توفر بعضًا من دخلها لتصنع طعامًا للمعتصمين وتؤثرهم على نفسها ..
الكثيرون كانت لهم الثورة عزاءً وشفاءً وإنشغالًا عن متاعبٍ آخرى وصعوبات مختلفة في الحياة ..

ليس الأمر أن الناس هنا كما أخبرتني .. لا يعون كونهم يعيشون.
ليسوا كما قلت لي: موجودين فحسب !

قد تكون محقًا في أنهم لا يعون حاجتهم لسببٍ يعيشون لأجله،
لكنهم حين يجدونه؛ يندفعون بكل بساطتهم التي تشبه بساطة الماء، ينسكبون أمطارًا وشلالاتٍ وسيولًا، وأحيانًا يصبحون أمواجًا هادرة..

الناس ليسوا كما ظننتهم أنا دومًا، وليسوا كما حدثتني عنهم ...
هم أشياءٌ آخرى، أحتاج أن أتعرف عليها مجددًا.

2

اليوم يا حبيبي أستمع إلى صوتك من ذاك التسجيل وأبكي ..
تزدادُ وحشة الظلمة في قلبي..
والشوق متشربٌ بكل أنواع اليأس والأمل، وأنا انقساماتٌ وضياعٌ ومخاوفٌ وجنون..

أمارس انفعالاتي الهادرة في عالمي الخاص وأغيب عن الوجود ..

أحتاجُ "الله" ..أحتاجه جدًا ..
ليعيدك لي.. ليطمئن قلبي.. ليمنحني القوة والشجاعة للحاق بك ..
لكني لا أعرف كيف الوصول إليه!
أحيانًا أشعر أن صوتي محبوس داخلي وأنه لا يسمعني ..

وأنا متعبة؛ متعبةٌ جدًا رغم أنه مرَّ أسبوعٌ واحدٌ فقط منذ ودعتك ..
وأنا صبورة؛ يا حبيبي .. لا يعلم الآخرون مقدار الألم والوجع والفقد

الذي أمرُ به، ولا يحسون بالشوق والوله الذي يسكنني..
أستمر في الضحك والتقافز بنشاط مثل قطة صغيرة ..

صوتي مبحوح كلما أردت رفعه لأنادي اسمك اختنقت به ..
أين أنت يا فتاي؟ ما الذي تفعله؟
أرجوك لا تتوقف عن التفكير بي ولو للحظةٍ واحدة أيها القديس
أنا لست سوى فكرة تعتمد حياتها على تفكيرك المستمر بها،
وبغير ذلك أموت ..

3

أكتبُ لك؛ أكتب نفسي إليك ..
لأن هذا ما يبقيني على قيد الحياة في غيابك وفي هذه الأوضاع والظروف الصعبة..
أكتب جنوني الذي أصبح هواياتي الجديدة المسلية ..
لأول مرةٍ أجدني في غرابة هذه الهواية

انتشاءٌ فرح غمرني طوال اليوم بسبب فكرة اللحاق بك ..
تخيلت نفسي أتعلق برقبتك في المطار حين تستقبلني، شعرت أن قلبي سيتوقف فرحًا برؤيتك، ثم سآخذ بيدك لأقرب كنسية وأتزوجك ..
لكن حتى الأحلام والأوهام تعاندني ..
يقول لي القس بأنك متزوج وأنه لن يزوجك بي لأن الزواج باثنتين محرمٌ في دينهم!

سحقًا للأديان والأحلام التي تزيد المسافة بيننا .
هل يرضى الإله أن أبقى منزوعة الروح مقسومة بيني وبينك ضائعة يسكنني عذابٌ لا آخر له ؟!

4

الموتُ يا حبيبي يتسلل إليّ خفية شيئًا فشيئًا .. يسحب نفسه على ظلال الأشياء، يخبيء نفسه خلف ضحكاتي ..
ويعيش على ما يمتصه من لمعان عيني ..

وإن عدت يا فتاي؛ .. فما الذي ستعود له؟ ما الذي سيبقيه لك الموت مني لتعود إليه؟
أريدُ أن أشتمك ، أن أضربك ، وأؤلمك وأوجعك على ما تفعله بي..

وهذا اليأس أخذك مني بعيدًا جدًا جدًا ..
لم أعد أصدقُ أنك لا زلت حيًا ..

يؤلمني أن أفكر أنك الآن تعبث في مكانٍ ما، تضحك .. ترقص .. وتتناول طعامك بكل هدوء ..
لا تفكر حتى أن تتذكرني!

ما حيلتي لو كنت الآن كذلك ؟!
لا أقوى على أن أتخلص من مشاعري نحوك!

لا أدري أين أنت ! ولا ما الذي تفعله !
ولا بأي حالٍ أنت!
ولن أحاول أن أسألك..

تركتك تذهب...
في أصعب وداع..
احتجت لأسبوعٍ كاملٍ كي أستطيع أن أقول : «اذهب ..أنت حر!»
جمعتُ كل شجاعتي، سحقت قلبي وأنوثتي، وحاجتي لك وضعفي .. تحت أقدامي..
وجئتك لأودعك..
كمحاربٍ يحارب نفسه لأجلك ..

لا كامرأةٍ أحبتك وسكنتها وتمددت بكل شراينها ووصلت إلى أدق خلاياها ..

محكومٌ عليّ الموت مسمومة بحبك منتشرًا بكل حناياي..
محكومٌ علي الموت مخنوقة تحت ثقل الحزن الذي خلفه فراقك ..
محكومٌ علي الموت شنقًا لكل شيءٍ بي بعيدًا عنك ..

«أنتَ» يا حبيبي ..

بالنسبة لي "الموت" و"الحياة" .. وطريقي إلى "الله " .. الذي عرفته حقًا حين مررت "أنتَ " بقلبي..
وأنت يا حبيبي ..
"إله الحب" المقدس ..
وقديسي الطاهر ..

«أنت» بالنسبة لي كل ما هو ثمين ومقدس ..
ماذا أكون أنا بدونك ؟
حكم بالفناء الأبدي ..

في ثقب الفراغ الأسود اللامتناهي!

« أحبك» .. فكن «لي»

الرسالة الثامنة: صخبُ العمر كله

1

عرفت اللوعة ونار الشوق التي لا تنطفيء معك
التهمتني ولم تبقي إلا رمادَ اكتئاب انسكب على خاطري طوال اليوم..
ثرثرت طويلًا عنك .. وشعرتُ بعدها بضيقٍ لا آخر له، وهربًا من نفسي ومن روحك الملتصقة بي منذ ساعات الصباح الباكر نمت طوال ما بعد الظهيرة إلى المساء.

2

لا أستطيع أن أقرر إن كنّا في حالة حربٍ أم لا!
فيومٌ نستطيع مغادرة المنازل بشكل طبيعي ويومان لا ..

اليومُ ذهبت للعمل، مهددون نحن بفقدان وظائفنا إن أغلقت المؤسسات والشركات أبوابها في ظل هذه الأوضاع ..
وربما علي البحث عن عمل آخر منذ الآن!
تتجمعُ الأشياء المقلقة والمحزنة كلها في وقتٍ واحد!
أتساءل إن كان الله يمتحن صبرنا وإلى أي مدىً يمكننا الاحتمال.

تعاودني فكرة الموت بثيابها القديمة والرغبة في الخلاص من الحياة ..
تسري في أحشائي كراهية مقيتة للحياة التي أعيشها بصعوبة، والمعاناة التي تجرعتها، أشعر بالسوء لأني بدون وعيٍ أجرعها للآخرين.

أحاولُ الخروج عن نمط فوضى نفسي؛ لكن الفوضى المستمرة - كما قال لي أحدهم - نمط بحدِّ ذاته..

3

تنتابني نوبة كراهية مقيتة لكل الأشياء، وتشملك اليوم يا فتاي ..
متعبة من المعاناة في غيابك، سئمت من التعب

ومنك ..
تخليت عن فكرة اللحاق بك، حين رأيتك تغدر بي..
وجدتها هناك معك في استقبالي وانكمشت في داخلي وأنا أشعر بسوءٍ بالغٍ لتكرار المشهد القديم ..
لكني لم أبكِ في هذه الصورة، لم تكن لدي القوة ولا الجرأة لأبكي ..
لم يعد لديّ القوة لأتألم أكثر ..
أن تتألم: يعني أنك على قيد الحياة .. أن تفرح كذلك ..
لكني لا أتألم ولا أفرح !
أنا «فقط» مسكونةٌ بك وبالموت الذي يملؤه فراغك.

4

كل شيء في حياتي نِسْبي أعيده إلى قوانين الطبيعة الأولى، وأطبق عليه قوانين الفيزياء البسيطة لأعرف حقيقته وكنهه؛ لأفهمه وأحسن التعامل معه..
إلا قلبي..
قلبي الذي لا يخضع لأيٍ من هذه القوانين لأن له قوانينه الخاصة الآتية من السماء حيث تتعلق خيوطه التي تحركه ..
قلبي الطفل حين يحزن وحين يفرح بصفاء سماويٍ خالص
أحب فرحه الجميل، وحزنه الجميل ..
لكن ما أمر به الآن لا يشبه أيًا منهما ؛
لا يشبه حتى سكينة المقابر؛
ولا ضعف الأموات ورهبتهم ؛
لا يشبه أي شيء ينتمي للحياة أو للموت ..

مابي: رمادي لا لون له .. معلقٌ بين الموت والحياة .. بين السماء والأرض

نقطة من التيه ..
والوجع ...
والكآبة!

5

أريدُ أن أصلي الليلة ..
وأستبدل روحي بك في قبرك الرمزي تحت شجرة الياسمين
أحتضرُ بعيدًا عنك ..
ألن تشفق عليَّ وتعيدني إليك وتعود لي؟

..

والآن أفكر .. أن بإمكان امرأة ثالثة أو رابعة أو خامسة أخذك مني ومنها !
هل تعلم كم هي مرعبة هذه الفكرة، أفضل الموت بعيدًا عنك ألف مرةٍ على أن تفكر في امرأة آخرى!
أوه كلا .. لا أريدُ التفكير في هذا الأمر أساسًا، آلامه لا تحتمل.

6

لم أقل لك قط أني أتذكر وجهك وأتذكرصوتك حين التقيتني وأنا طفلة في السابعة من عمري تقريبًا، منذ عشرين عامًا ..
لكني أفعل حقًا، أتذكرك وأتذكر شعوري آنذاك
وقبل شهورٍ من تعرفي بك مجددًا ..
رأيت صورتك في صحيفةٍ ما، ضحكت من قلبي وأنا أقول لصديقتي " هذا الوجه مألوفٌ جدًا بالنسبة لي، كأني أعرف صاحبه"

وكنت أعرفك حقًا، وعرفتك بعد ذلك أكثر حين التقينا ..
كنت كشخصٍ عرفته العمر كله، موجودٌ منذ الميلاد في حياتي، إلى الممات..
ليست علاقتنا وليدة اللحظة، ولن تكون أبدًا تحفةً صينية تنتهي بالكسر!

أشعر أحيانًا بالدهشة من الطريقة التي آلت إليها الأمور..
إن كانت القلوب حقًا بيد الله ، فهل كل هذا لحكمةٍ ما يعلمها وحده ؟!
وهذا ما يعزيني قليلًا لتحمل ثقل هذه العلاقة الغريبة وصخبها وجنونها في الوقت القصير الذي استغرقته ..

7

بدأت الأسئلة حولك تمزقني،
أعرف أنك بخير ومشتاقٌ لي جدًا كما يتمنى قلبي،
لكني أحتاج أن أعرف عنك أكثر ..
ولحين معرفة المزيد عنك سأحاول أن أنشغل بغير التفكير بك ..
ولحين لقاءنا،، كن بخير حبيبي .. ولا تتوقف أبدًا عن التفكير بي ..

الرسالة التاسعة: رسالة مُتْعَبَة

أصبحت أخشى الجلوس وحدي، ينتهي بي الأمر منهارةً أبكي،
أتمزق أوصالًا ،
وأنتثر في دموعي فتاتًا ..

أشتاق إليك ويوجعني شوقي ويستحيل حبي لك جثة متعفنة بالبغض،
وتفوح رائحتها العفنة في كل أرجائي..

أشتاقُ إليك بيأسٍ كشوقي لأمي الميتة ..
وأحبك وأخاف عليك كحبي لأختي الوحيدة أو ربما أقل قليلًا، لأن أختي هي أثمن ما في حياتي صدقًا ..

أختي متعبة اليوم، لذا أحس أن روحي مريضة،
ولو أنك كنت المريض لكانت روحي مريضة أيضًا ..

أواه يا فتاي!

ما أشدّ قسوتك علي حين أقفلت كل أبوابك في وجهي.

الرسالة العاشرة: بعيدًا قليلًا عنك

1

في الحافلة كل يومٍ أرخي رأسي على زجاج النافذة وبين اغفاءة وآخرى أمدّ سلسلة أفكار لامنتهية تعرفُ كم هو الطريق الذي أقطعه كل يومٍ طويل، طويل جدًا .. يسمح لي أن أتغلغل في سنوات العمر ممتدة للوراء، إلى البدايات الأولى وفي التفاصيل الصغيرة..
أحدث نفسي: لو عدت للوراء ما فعلتُ غير ما فعلته.. لست نادمة على شيء أبدًا.
ومن نافذتي كل يوم أشاهد أشياءً كثيرة، تحدثني مباني مدينتي، روحها المنبعثة منها حزينة جدًا..
متى ينتهي كل شيء يا مدينتي، ويعود دفئك بدلًا عن هذا الحزن والوجع اللذين لا ينامان؟!

2

لم أكتب لك بالأمس لأني لم أشعر برغبة في الكتابة ولأني غاضبة عليك حد الوجع منذ يومين.
تصعب الكتابة أحيانًا رغم دفق الأفكار، كما أن يدي لا تكف عن إزعاجي وإيلامي فأعجز معها عن الامساك بقلمي أو استخدام لوحة المفاتيح ..واليوم أعاود الكتابة رغم غضبي عليك وألم يدي المستمر..

3

عمر الحزن يا فتاي قصيرٌ مثل لحظات الفرح، وعمر الأوجاع طويل..

وما تسببه أنت لي نوعٌ من الوجع الممزوج بمرارة الفقد وحرقة الشوق..
يستمر طويلًا طويلًا، يسير معي، ينامي معي، يصحو قبلي ويفزعني ..
لذا أعود لقرار دفنك الحزين، ومحاولات نسيانك الحمقاء ..
عزمت أن أنزعك من داخلي، .. وأن أنســـــاك ..
وأصلي ألا تنساني أنت أبدًا .. وأن تتحول كل مشاعري التي أكننتها لك إلى قلبك لي،
وأن أبقى أسكنك للأبد ..

4

اليوم ينتهي آيار ..
وعمر من دهشة الربيع والحياة التي كانت مليئة بالحزن هذا العام انتهى بانتهاء نيسان وآيار، كثيرة هي الأحداث التي حدثت من مطلع هذا العام .. لي ، لأهلي ، لوطني ..

اليوم أصبحنا ننام على انقطاع التيار الكهربائي ونصحو على زخات الرصاص، وأصوات المدافع وانفجارات القذائف..
لا أزال أسمع العصافير طوال اليوم .. رغم كل شيء،
بصوتها دفء الحياة كلها، ونشوة الفرح وبهجة الربيع ..

بقي عشرون يومًا للصيف، لكنه في صنعاء يأتي باكرًا ويطفيء دهشة الربيع بحرارته الخانقة..
تمتزج الفصول هنا طوال العام ..
المطر الصيفي في الربيع ، وبرودة الشتاء في الخريف ..
أحيانًا نرى كل فصول العام الواحد في يومٍ واحد تتلاحق في ساعات قليلة مثل فقرة إعلانات متتالية ..أو فلم قصير مملوء بالدهشة والحياة!

الرسالة الحادية عشرة: ليست موجهةً إليك!

1

اليوم أكتبُ إليكِ يا حبيبتي الحلوة..
مرّ شهران يا أمي..
لو علم شخصٌ بحجم الفراغ الذي يخلفه غيابه لاستثقل الرحيل ..
لكني رأيت وجهك يوم رحيلك أبيضَ مثل السحاب الذي أحبه، وجسدك سحابة جميلة وتبتسمين بفرحٍ، وتقولين لي : "أخيرًا .. ارتحتُ من كل الآلام"..

أتساءل إن كان بإمكاني الكتابة إليك-بهذا الشكل - إن كنت لاتزالين على قيد الحياة، لا أظنني سأفعل ذلك ..
لكنها إحدى هداياك التي تركتها لي قبل رحيلك، أن تفتح بيننا أحاديث لم تكن لتفتح أبدًا ..

منذ يومين ونحن تحت النار يا أمي ..
نسمع القذائف والصواريخ، نسمع حكايا الموت الذي يصرُّ أن يدخل كل بيت هذا العام ..
قلوبنا المثقلة بالحزن والخوف، نضحك من أفواهنا ونبكي بلا دموع ..
محظوظة أنت لأنك لم تكوني هنا!
نرفض النزوح من هنا، وعلى أيّ حالٍ سنبقى، مثل أولئك الذين لا يجدون أماكنًا للنزوح..
مع أن فكرة المبيت بمكانٍ آخر تراودني كرغبةٍ في التغيير والحصول على بعض المرح في ظلّ هذه الكآبة..

الآن أكتب إليك في ساعات الصباح الأولى ولا أزال أسمع صوت إطلاق النار، وأتعجب كيف تستمر العصافير في شقشقتها من ساعات الفجر حتى نهايات النهار ..
غريبة هي هذه العصافير، لكنها تمنحني بعض السكينة وشعور بالأمان في وضع كهذا ..

ذلك الأحمق لم يسأل عني قط في هذه الظروف!
أحيانًا يخيل لي أنه يتمنى موتي لكي تحل كل مشاكله ..
وآخرى أتفهم أنه يريد الابتعاد كلية وإصلاح حاله،
لكن الشخص الذي يبتعد في أحلك الظروف عليه ألا يعود بعد ذلك أبدًا،
ثمة شيء بيننا انكسر ..

الشيء ذاته الذي علقني به طوال تلك المدة ..
الشيء الذي يضعني على حافة الموت، ويبقيه في ركنٍ بعيدٍ ولا يسأل عني!
أشعر بالأسف لأن روحي تهدر بهذه الطريقة ..

2

عدت يا أمي لنقطة البداية،
للمكان ذاته أعود دائمًا وأنطلق منه باتجاه مختلف لكن كل الاتجاهات تعيدني إليه

فجأة تتهدم كل الجدر التي أتكيء عليها،
وأجدني وحدي في هذا العالم ..
أتجرع مرارة آلامٍ من لون وطعم مختلف وحدي ..
تكسوني حلة من وحشة وعزلة..
لا أشعر أن هذا الوطن وطني ولا هؤلاء الناس أهلي ..
أتمنى أن أمنح هوية جديدة لا أحتفظ فيها إلا باسمي الأول الذي اخترته أنت لي، وأن أمنح جوازًا جديدًا لا أنتمي فيه لأي وطن..
ووجهًا جديدًا لا يعرفه أحد..

أجدني شريدة.. كلما تقدمت خطوة؛ لم أجد مكانًا خلفي لأرجع إليه..
وكأنني أسير في عالمٍ افتراضي ليس فيه إلا خيار السير للأمام أو التلاشي

لذا أصبحت الكتابة موطني منذ اللحظة، وهي الشيء الوحيد الثابت في حياتي ..
أدور وأدور وأعود ثانية إلى أحضان دفاتري وأمزج حبري بالدموع وخلاصة الروح ..
وكل مرة مهما استبد بي الزمن أو اشتط بي الضياع أجدني أنتهي هنا .. أحدث أقلامي ودفاتري ..

3

أماه ..
حياتي دين كبير لذنب لم أقترفه..

آه يا حبيبتي .. كيف سمحت للشقاء أن يقبل جبيني يوم ولدتني ويصمني باثمه؟

وكيف رضيتِ للعذاب أن يتسلل بين مسامات روحي ويسكنها ..

ليت الله يسمح لي أن أقبل جبينك مرة واحدة بكل أشواقي إليك، لربما سكنت أوجاعي قليلًا، ولربما صغرت قليلًا حفرة الندم التي نهشت قلبي، فوهتها الكبيرة تلتهم صدري ورئتي وتمتد حتى أسفل جذعي ..

لربما تضاء قليلًا حفرة الظلام هذه التي تلتهمني عتمتها .

4

يا سيدتي العظيمة ..

هداياك كثيرة ..

وأعظمها الحياة التي أحضرتني لها وأنت تشاهديني أكبر من بعيد مثل زهرة بنفسج برية ..

تعرفين مثلما أعرف حتمًا أني سأكون بخير ..

أصلي أن تكوني الآن سعيدة، أصلي أكثر مما صليت لأجلك في حياتك ..

كوني سعيدة لتتخفف أحزاننا بفراقك ..

الرسالة الثانية عشرة: يا أحمق!

1

الساعة الآن تجاوزت منتصف الليل ..
بداية اليوم الجديد،
لا أرغب في الكتابة إليك .. لكني بحاجة ماسة لها.

أعدتُ قراءة رسائلنا القديمة وبكيت كثيرًا،
نعم لازلت أحتفظ بها كلها، واحدةً واحدة، أقرؤها حرفًا حرفًا؛
وتستيقظ مشاعري داخلي بجنون .. ثمة ما يخبرني أنك ستعود لي .. لكني حقًا متعبةٌ بك ومريضة من آلامي بسببك ..

أتمنى أن يقطعني يأسي منك وأنساك ..
أن تدفن في الغياب كما تخيلت ذلك في أول أيام رحيلك ..

قلبي كأنه مثقوب تتسلل منه عاصفةٌ موجعة ..
ثم ينفجر الوجع وينسكب الدم ..

أريد أن أعيد نشر بعض رسائلي لك ورسائلك لي، لم يعد لها من معنى ولا خصوصية بعد انتهاء كل شيء ..
لكني لن أفعل .. ليس الآن على الأقل ..
حتى لا تظن أني غدرت بك للمرة الثانية ، وهذه المرة ستتألم حقًا ..

لم أغدر بك آنذاك يا فتاي؛
كنت أنت أولًا من وشى بي، وأراق زجاجة كبريائي وأهدر دم أنوثتي،
أردت أن أدافع عن وجعي .. عن كرامتي .. عن حبي الذي دست عليه وأهنت قدسيته ..
وأسعدني أن أكون أداة طيعة لتهذيبك ، وربما الانتقام منك ..

لستُ مخلوقًا لئيمًا ولا أحترف الغدر، لكنك تعبث مع شيء ما داخلي لا أعرف عنه شيئًا، وأخاف منه حتى الموت ، وأنت أكثر الناس معرفة أن ذلك الوحش جزء مني، أقر بوجوده ولا أستطيع السيطرة عليه .. ولا أملك إرادة في تحريكه أو تصريفه ..

ألم تكن كهانسل وجريتل ؟ تريد أن تلتهم المنزل المبني من الحلوى والبسكويت دون أن تلتهمك الساحرة مطبوخًا على نار فرنها ..

أخطأت اختيار منزل الساحرة هذه المرة ..
وأنت عالقٌ في بيت حورية الجنة المسحورة حتى تكف عن حماقاتك ..

يخيل إلي أن عودتك ستكون حماقة هي الآخرى؛ لا أدري كيف سأستقبلك بعدها!

أبفرحٍ لأن إيماني تحقق وأنك عدت،،
أم بصفعة لتهتز كل أوراق حماقتك الصفراء وتسقط عنك!

2

قبل النوم ..

لازلنا نسمع طلقات النار والقذائف ومضادات الطائرات حتى اللحظة!
أشعر بنعاسٍ بالغٍ وأدري أني سأنام بسلام ..
لست خائفة من الموت !
لذا أستمر في حياتي بشكل طبيعي، أذهب هنا وهناك، وأفعل ما يحلو لي ..
لن أظل بمكاني أنتظره أن يحل بي..

إن كان للموت موعدٌ معي فهو سيلحقني إلى آخر الكون، وفي أي وقتٍ وسينجح في ملاقاتي وفي الموعد المحدد..
لست خائفة منه حتى لو جاءني الآن وأنا أقبل صورتك على شاشة حاسوبي..

أحبـــــــــــــــــــــّك!

الرسالة الثالثة عشرة: لأجلك أعيش!

1

سأتسلل إليك مع أول أشعة شمس الصباح، دافئة مثلها ..
أوقظك بقبلة على جبينك..
أقبل كل خلية فيك،
أضمك حتى تختلط أرواحنا فأحمل بعضك معي إلى هنا، وأبقي بعضي معك في تلك البلاد البعيدة التي لا أعرف اسمها حتى ..

.. اشتقت لعينيك البنييتين، لشفتيك الدقيقتين الداكنتين ، للندبة على خدك الأيمن، للتجعيدة بين حاجبيك حين تزمهما وأنت في أشد حالاتك جدية، لأذنيك الجميلتين، لملس يديك المتناسقتين..
.. لكل شيء بك ،،
ينازعني شوقٌ جارف وحنين..

2

بمرور الوقت أزداد جرأة وحماقة، أصبحت أخاف مما قد يأتيني أو قد أقوم به أنا، وحين أشعر بالخوف والارتباك مما أنا مقدمة عليه أفر إلى صورتك التي تبتسم فيها ببساطة مجللة بالحزن، وأقبّلُ كل "بكسلٍ"* فيها، حتى تلبسني السكينة.. أقبّل فيها عينيك، وأنفك، وجبينك، وخديك .. وحتى شفتيك!

يدٌ ما تدفعني للسير نحوك وانتظارك ببلاهةٍ لا أفهمها

عقلي يخبرني أن الرجال كثيرون في هذا العالم، وأريد أن أتخلى عن فكرة التمسك بك..
لكنني عاجزةٌ حقًا عن الخروج من الدوامة التي خضتها معك ..
وتلك الأشياء والملفات التي تركتها مفتوحة ما بيننا تنبئني بعودتك..
لا أدري إن كنا سنكملها أم لا ..

*البكسل : وحدة قياس لأجزاء الصورة وهي أصغر ما يمكن تمثيله و التحكم في خصائصه من مكونات الصورة على الشاشات بتقنياتها المختلفة، وبواسطتها تقاس دقة الصور.

قل لي : أي قدرٍ هذا الذي يعلقني بك ؟
أشعر أحيانًا أني لم أؤدِ مهمتي نحوك، وأنت لم تسمح لي بإكمالها
وأشعر أحيانًا أن لنا قدرًا جميلًا ينتظرنا..

وآخرى أشعر أن أبوابنا مقفلة ،،
وأن رحيلك هذا هو خط النهاية.

3

أفقت بعد نوبات نوم متقطعة طوال الليل وطوال الصباح،
الكآبة تمد غلالتها الرقيقة تكسوني ..
حتى أصبح أنا وهي كيانًا متداخلًا فلا أعود أميزها عني،
وقبل تداخلنا في بعض أصبحت أعرفها من بعيد برائحتها المميزة

فراغٌ قاتلٌ يملأ صدري، يخنق رئتي، ويحرق أحشائي..
وكأني غريق يريد أن يصرخ لكن الماء الذي يتنفسه يحبس صوته في حنجرته

وأمامي ألف عامٍ من الانتظار لجوابٍ قد تأتي به الريح أو لا تأتي..
أقول لنفسي انتظري مائة يومٍ ثم الحقيه..
ثمّ أقول هو لا يريد ذلك !

يحتاج وقتًا أطول، سيعود حتمًا حين يكون قد أخذ كفايته من الوقت ..
لكني مريضة بك ، ودوائي أنت ..
وأخشى أن يصل الدواء بعد موت المريض!

4

أنت "سببي" للعيش، على يديك عدتُ للحياة،
وقبلك لم يكن لدي سبب..
لذا كنت أموت!
.. قل لي لأي سبب أعيش بعدك إذًا؟!

لا تقل لي عيشي لـ"سميـّة" .. بدونك لا وجود لسمية هذه أصلًا ..
بلا «أنت» ..
.. «أنا» النور المنطفيء .. والحياة الذابلة..

بكَ أنت يا نوري أبصر الحياة، وأفتح قلبي لدفقها ..
ولأجلك وحدك أكون نجمة الله في سمائك ..
ولك أنت أكون روحًا من نور..
لا أكون نارًا ولا طينًا ..
يصبح جسدي وروحي في هواك واحدًا ..

تمرُّ الأيام ثقيلة في بعدك عني،
يخيِّلُ إليَّ أحيانًا أني أنساك، ولو لبعض الوقت ،
مابقي ..
إما أن تسكنني أنت شوقًا ولوعة ..
أو يسكنني الموت الرمادي والكآبة.

لا أزال أبكيك مطرًا كلما افتقدتك رغم مرور أسبوعين..
لا أزال أقبل وردتك ، أتنفس عطرك وبقاياه على ذلك المنديل..
وأخشى أن ينتهي لكثر ما أتنفسه!

لا أحد يا حبيبي سيفهم ما أمر به،
هو اليأس المخلوط بالأمل.
هو الانتظار الذي لا يقف في مكانه..

أتمسك بانتظاري لك لأنه علامة الحياة الوحيدة بي، لأنه سبب بقائي، سبب تقدمي ، تحركي، سيري، محاربتي لاكتئابي.. وعدم استسلامي للموت

أتمسك به بشدة، وأتهيأ لاستقبالك، أحفظ قصائدًا لألقيها عليك، أسأل عنك ..أحاول معرفتك أكثر، أحفظ ملامحك سرًا وغيبًا، أهتم بنفسي لأبدو امرأة أجمل حين تلقاني، أصنع نجاحاتٍ جديدة لأتباهى بها أمامك، أقرأ كثيرًا لتصبح روحي أكثر نورانية، أبحث عن الإيمان، عن إجاباتٍ لأسئلتنا، عن أحاديث جديدة سأفتحها معك، عن دفقٍ لروحي يتفجر بحياةٍ من ألق السماء حين ألقاك..

أربي نفسي، أهذبها، أحاول الارتقاء بها من كل زاوية وناحية، إلى أدق خلية بي، لتلقاني أو لألقاك في

أوجّ بهائي.. في أزهى حللي.

واحتمال ألا ألتقيك وأنك لن تعود لي واردٌ جدًا ..

لكني لا أجرؤ على تخيل ما بعده ..
أحس أن الزمن قد يطول في بعادي وأن عذابي سيمتد لأزمان..
لكني أفكر فقط في عودتك لي..
لأحيا .. لي أو .. لك ..، لك أو .. لي ..
كلاهما واحد .. أنت من قال لي ذلك ذات يوم.. إن لم تكن نسيت!

5

وأنا مجنونةٌ يا فتاي،
مجنونةٌ بك..
عمري نذرته صلاةً لأجلك، ولن يمنعني أحدٌ من الجنون الذي سأقدم عليه..
ذلك العالم الأسود المخيف الذي قررت الخوض فيه لأجلك،
خائفة حتى الموت منه ، لكني أريد أن أفعل لأجلك كل ما يمكنني ..
وحين أشعر بذعر، سأطمئن نفسي بقبلةٍ أسرقها من شفتي صورتك المبتسمة بجلالٍ حزين..
كحزن المطر..
أحبك يا غيمتي الملونة،
لترسلك الريح نحوي..

6

كتبت لك طويلًا، واختلطت بعض الحروف بسبب الدموع التي تبللها،
أعترف بأني كثيرة البكاء ،،
لديّ دائمًا سبب لأبكي، حياتي مليئة بالأحزان والآلام منذ وعيت نفسي، لكني أصبحت أكثر منطقية، ولم أعد أبكي إلا لأخفف عن نفسي، ولأحول كآبتي إلى حزنٍ جميلٍ ثم إلى دموعٍ مريحة..

أما البكاء الحقيقي فهو لا يتوقف، مخفيٌ في دروب النفس، وحدي أسمع صوته ونحيبه ، وأسأل الله أن يجعلك ترى دموعه فهو يَبكيني ويَبكيك معي.

7

أصيب الرئيس وعدد من قادة البلاد - حادثة جامع النهدين- إن كان يصح أن أسميهم كذلك!
هل يتدخل عزرائيل ويغير مجرى الأحداث؟!
سيحرقوننا ومدننا ك (نيرون) يوم أحرق روما !

..
الموت ليس مخيفًا، لأننا بعده نتوقف عن القلق على كل الأشياء المحيطة بنا.
لكن هذه الليلة مخيفة ومرعبة،،

أتمسك بدفتري الذي به خطك وبقايا رائحة عطرك، أحضنه بقوة، وأحاول أن أبكي حتى أنام ، وأصلي أن يأتي الغد، ولازال لدي الأمل أن يبقى رأسي على جسدي؛ كي أراك ثانية!

غصةٌ تخنقني حين أتذكر بعض الأشياء، ألا تنقضي بعض الآلام مهما مرّ عليها الزمن ؟ ألا تشفى بمرور الوقت ومضي العمر ؟!

بلا رقم

صلاة: " يا إلهي، أنت قسمت لي عزمًا وإصرارًا، وحررتني من الآمال الكاذبة .. فامدني بالقوة للوصول إلى ما أريد.. كما عودتني".. آمين

..

أيها الشقاء البائس الذي قبَّلتَ جبيني يوم ولدتُ،
سأقبِّلُ جبينك وأصيبك بشيء من تعاويذي السحرية، وقليل من الفرح ..
لتخفف عذابك عن كل هؤلاء التعساء ..

الرسالة الرابعة عشرة: حتمًا سأنساك!

1

"لا آمل في شيء، ولا أخاف شيئًا.. لذا أنا حر"
هذا ما طلب (نيكوس كازنتزاكي) أن يكتب على شاهد قبره..(عبارة من التراث الهندي منسوبة لبوذا)
..

وفي هذا الوقت، هذا هو الشعار الذي أتخذه لنفسي ..
قط لم أؤمن بالأمل،
كل ما تريده اعمل لأجله؛ سنة الحياة تقول أنه عند الأخذ بالأسباب تكمل إرادة السماء جهدك، وتباركها لتصل إلى مرادك وتحقق مبتغاك..

أما الخوف من الآخرين ومن غيرهم فقد توقفت عنه منذ زمنٍ بعيد، وصرت أسأل نفسي في كل مرة أخاف فيها : ما أسوأ ما يمكن أن يتسبب لي أحد به من الأذى ؟!.. أظنني من الشرّ كفاية لأتخيل أذىً أشدّ مما يمكن لأحدٍ أن يوقعه بي، حتى إن قام أحدهم بتعذيبي وقتلي، ليس الأمر بذلك السوء؛ الألم منته مهما بلغ مداه، والموت نهاية حتمية لكل الأحياء..
الأذية النفسية ممكن تجاهلها والتعافي منها، وتشويه السمعة عادة لهذه المجتمعات القبيحة؛ يشوهون الجميل والقبيح معًا ..
فلا معنى للخوف بين مجتمع لا يعرف قيمة السمعة، ولا يهتم بتقصي الحقائق.
ورب كاذبٍ ذكي يبدو في أنظارهم أشرف ألف مرة من صادق غبي!

بعد انقطاع دام يومين عن الكتابة لك ، أحدهما كنت أعاني بعد تلك الليلة الصعبة من التوتر طوال اليوم ، والآخر انقضى في محاولة لنسيانك وقراءة لكتاب أحلام مستغانمي (نسيان. كوم)

2

"أعلنت عليك النسيان، مثلما أعلنت عليك الحب" غادة السمان ..

أن أنساك أنا وأتسلى بعيدًا عن ذكرياتك، أن أفتح قلبي مجددًا لقصة حبٍ جديدة ..
وأن تبقى أنت تتذكرني طوال الوقت وتشتاقني أضعاف ما اشتقت إليك وما احتجتك.
أن أبقى تعويذة معلقةً بك للأبد، يرتبط بها كل شغفك للحياة.

ستقول ما الذي غيرني بعد أن كنتُ بالأمس نخلة الانتظار ومحطة القطار؟
لا شيء..
سوى أني متعبةٌ بوجودك في حشايا قلبي، أحملك وهنًا على وهن، ثم يولد حبي ميتًا !

هذا خيرٌ من الانتظار لولدٍ يأتي عاقًّا، يشقيني العمر كله!

وتتعجب ما الذي يبقيني أكتب إليك وأنا أعلنت محاولات النسيان وحربًا ضروسًا على الذكريات!
أسأل نفسي السؤال ذاته، ربما أفعل ذلك لأني بدأت كل هذه الرسائل بسببك والوجع الذي سببته لي،
وربما لأني لا أجد أحدًا أرغب في أن أشاركه دخيلة نفسي سواك، وربما .. وربما .. لست متأكدة، المهم
أني لازلت أرغب في الكتابة إليك رغم كل شيء، بدون أي صفات أو ألقاب..
أكتب إليك ، ..
إلى روحك التي تعرف روحي والتي تعرفها روحي منذ الأزل..
الأرواح التي تتجاوز مسافات الأجساد وقوانين الفيزياء وحواجز الذاكرة وممحاة النسيان.
أتساءل كيف نسيت صوتك وأصبحت ذاكرتي باهتة بك، لا أستطيع أن أتذكر شيئًا من ملامحك إن لم
أتملى طويلًا في صورتك، ورائحة عطرك توشك أن تمحى من ذاكرتي..

نعم "أنت" تتلاشى مني ..

وحين أعلنت عليك النسيان بالأمس، تدافقت ذكرياتي معك اليوم كخط دفاعٍ عنك تريدني ألا أمحوك،
تعاندني ..
لكن ذلك ليس مهمًا .. سواءً كنت "أنت" أم "ذكرياتي معك"..
لم تعد سوى وقود لأحرفي، مدادًا لقلمي، ووجعي منك .. أو شوقي إليك لم يعد يخيفني أو يزعجني..
كل هذا وذاك ..
سيكون مجرد درجة سلم صعبة آخرى أرقى عليها للنجاح.

3

للموت سحرٌ غريب لا يمكنه أن يطال الأحياء حتى لو افترضنا موتهم!
لا أزال أسمع صوت أمي في أذني وضحكتها وأتذكر نظرات عينيها ووقع أقدامها حين تمشي وحفيف ملابسها ، وحتى ملمس يديها في المشفى.
أحسها قريبة مني وحضورها دافيء مثل نور الصباح..

لهذا لا أزال عاجزة عن فهم الموت،
شعرت طويلًا أن إلهي يهيئني لرحيلها، حتى لا أصاب بوجعٍ قاتل، ولا أصاب بعجز الادراك هذا، هو أدرى بي وبطبيعتي الملتوية والمعقدة..
ورغم هذا لا أزال لا أفهم، لا أستطيع استيعاب رحيلها، لأنها لا تزال موجودة بالنسبة لي، وهذا ما يجعلني بليدة كثيرًا كثيرًا ويبكيني أكثر..

مثل طفلٍ تائه بأسئلته، كطفل أنشودة المطر لبدر شاكر السياب:
« كأن طفلًا بات يهذي قبل أن ينام
بأن أمه التي أفاق منذ عام
ولم يجدها حين لجّ في السؤال»
آهٍ.. لعشر سنوات رددت هذه القصيدة مراتٍ ومرات،
هل أصابتني لعنة ترديدها فأصبحت جزءًا منها ؟؟!

4

هذا الوطن أصبح قاربًا مثقوبًا يوشكُ على الغرق،
والناس مابين متزاحمين على القفز منه والهرب بحياتهم، أو التجمع على الجانب الآخر الذي لا يغرق. وبهذا يسرعون بكل الأحوال غرقه..
وأنا باقية مكاني، لا مجال للقفز لأني لا أحسن السباحة، ولا معنى للانتقال للجانب الآخر لأني مصابة بدوار البحر..
وفي أثناء انتظار النهاية، أو سفينة انقاذ.. أتأمل سلوك البشر وتدفق الماء وجمال البحر .. وإن نجوت لاحقًا ، سيكون لدي ما أحكي عنه ..
والكثير مما تعلمته ..

منذ يومين أصبحنا " بلا رئيس" ..
أما ما بقي فأنا لا أجيد قراءة الأكاذيب من الحقائق على وجه السياسة المخادع.
كل ما أعرفه أن بي وجعًا منذ الآن على هذا الشعب الذي أشبهه كوني منه، ..
كلنا حمير رحى، ندور وندور لنطحن الدقيق لغيرنا.

5

الأكاذيب التي تحشر نفسها في حياتنا ..
مخلوقات شريرة نوجدها نحن، أطفال نحن حبلنا بهم وتمخضناهم في لحظات مخاوفنا، ثم ربيناهم بسخاء أبوي بالغ حتى لا يفضحونا بشقاوتهم..

علمتني أكاذيبك ألا أستمع لما تقوله وألا أفكر فيما تفعله وأن أصغي لصمتك الطويل، وأن أقرأ أحاسيسك من بعيد..
وبدون ذلك، أنا دمية لأحاديثك .. لنفسك .. لهذيانك .. وأفعالك الطفولية اللامسؤولة ..
عزائي إن كنت اصطدمت بكارثةٍ بشرية تمشي على قدمين هي «أنت» ، أني لعنة سحرية، وأنك ستدفع ثمن ما جرعتني وجرعت غيري على يدي أضعافًا، رغمًا عني ورغمًا عنك .. ورغم حبي المترف لك...

6

قرأت مرة أن برج الثور مائي وأنا أعشق الماء كسمكة، ويخيل إلي أني كنت مخلوقًا مائيًا في إحدى حيواتي السابقة..
ومرة قرأت أن هذا البرج ترابي، وهذا أقرب لطبيعتي، أشبه أمي الأرض، يحصد الآخرون بي ما يزرعونه كاملًا غير منقوص..
لا أستطيع أن أكون كالماء أعود كما كنت رغم مروري بكل شيء، أنا أرض تظهر عليها آثار كل اختلالات ومتغيرات الكون..
كل شيء يترك أثره وبصمته عليها، مرور الربيع والصيف وحلول الخريف والشتاء..
هطول الأمطار، هبوب الرياح .. وحتى انبلاج الصباح..
مرور العابرين ...دفن الميتين ..
كم أشبه الأرض وكم تشبهني ..

الأرض الطيبة التي لا ينفي طيبتها أنك بذرت الشوك فيها ثم لا تريدها أن تدميك..
هل أنا مخطئة في وصف نفسي؟
ربما .. لكن هذا ما أحسه اللحظة ، وقد أقول شيئًا يناقضه بعد قليل.

7

أحسُّ بشيءٍ مفقود في حلقتك حين أفكر بك كشخصٍ!

أحيي شجاعتك الحمقاء حين تخاطر بكل شيء، ترمي كل شيء وراءك وتلقي بنفسك في بحر لا تعلم إلى أيّ شاطيءٍ ينتهي مده، والموت أمامك والموت خلفك..
وكل خياراتك أن تقاتل حتى الموت، أو تموت ..
لكن يبقى ذلك الشيء المفقود سؤالًا يحيرني ..
يقودني أحيانًا للجنون وأنا أبحث عن إجابات لما يحيرني بك، لكني حتمًا سأعرفه ولو طال الوقت ..
أنت تعرف أن ما بيننا من الصلة لا ينتهي إلا بموت أحدنا ، ولهذا إن عرفت حتمًا سأخبرك.. ولو بعد حين.

8

أحاول أن أنساك حبيبًا بشدة،
وأنت تعلم كم هي محاولاتي يائسة لذلك..
لكني قررت أن أتوقف عن الحديث عنك أمام الآخرين وأبقيك لنفسي فقط!
قل لي ..
كيف أنساك وأنت تسكن السماء مع النجوم والسحاب؟
كيف أنساك وكل الكتب والقصائد والأغاني والكلمات تذكرني بك؟
كيف أنساك وأنت تسكنني .. كلي يذكرني بك ؟

من أصغر الأفكار ، إلى صلاتي المعلقة في السماء .. كلها بها "أنت"..
أنّى لي أن أنساك بعد هذا!

...
لكني لا أعرف في قاموسي كلمة « استسلام» وأخواتها ،
لذا سأظل على محاولاتي للنسيان ..
أملًا أن تنتقل كل المشاعر والذكريات والأشواق واللوعة إليك ..
وتعذبك في غيابي..

الرسالة الخامسة عشرة: أحدث نفسي فحسب!

"إننا سجناء دقائق مفلسة يمكن أن نعيشها سنين خصبة غنية إذا عرفنا كيف نخرج من أسرها لنحلق في أجواء ذلك العالم الآخر"

-د/مصطفى محمود – رواية العنكبوت-

1

يفتح الستار ..
أجدني غريبة بين أناسٍ عشت عمري كله بينهم..
لا يوجد ما نتحدث به،
لا يعرفون حقيقة ما صرت إليه والشخص الذي أصبحته أو لم أعده،
صمتٌ ثقيل يحل بيننا ولوقتٍ طويل..
أفتش في ذاكرتي عن أي شيء، أي شيء يمكننا الحديث عنه..
وبعدها إن وجدت شيئًا وتحدثنا؛ نتحدث كالغرباء..
ما أعجب هذه الحياة!

هي أشهر فحسب، أبدو وكأني قطعت فيها آلاف الأميال في مسافات عالم الروح
أشهر بعددها حدثت أحداث كبيرة في حياتي
وهزت الإنسان النائم (فيني) بعنف شديد

أقرُّ بأنك الحدث الأكثر وجعًا على الاطلاق، بك كسرني الله وأحرقني ونثرني رمادًا ، ثمّ سيجمعني لا ريب ..
سيجمعني كاملة أكثر مما كنت قبلك..
هذا ما أنا على يقين منه ..
وحين نلتقي مجددًا، أعرف أنك ستقع في حبي ثانية وتعشقني وتهيم بي..
وأرجو أن أكون وقتها لشخصٍ غيرك..
لأنك بكل الآلام التي سببتها لي .. لا تستحقني!

2

أيها الليل العليل أين نسيمك؟
أعليلٌ صدرك مثل صدري؟
أم قلبك موجوعٌ كقلبي؟
أم أن بك موتٌ خانقٌ كالذي يسكنني ؟
كل هدنةٍ أقمتها بيني وبين الأغلال الرمادية آلت إلى فشل
وكل محاولاتي لمقاومتها تتكسر على أبواب السجن القديم الذي يلوح لي من بعيد، ويبدو يومًا بعد يوم أقرب وأشدّ وضوحًا..
السجن الذي أعرفه، كما يعرف شخصٌ بيته الذي عاش فيه عمره
أحفظ رائحة الموت التي يعبق بها، وأصوات تراتيل الصمت المتلوة على أنغام الرتابة..
الوجود الذي يتلاشى فيه كل حوافزنا للعيش ..
كل رغباتنا المرهونة بالحياة..
تذوي كل مشاعرنا من حزنٍ أو فرحٍ أو ألمٍ أو وجع
تزداد جدرانه سماكة وتضيق علينا حتى نختنق بأنفسنا
وتقطع كل سبلنا للاتصال بالآخر، ونتوقف عن محاولة الوصول إليه

هذا السجن يحاول بناء نفسه في فراغك الذي خلفته بعدك، وهذه الأغلال ذاتها أقاومها منذ أكثر من شهرين بضراوة، تنجح في القبض علي حينًا وأنجح في انتزاعها حينًا آخر، ولازال صراعنا مستمرًا ..

أحتاج سببًا لأعيش..

ربما علي أن أعود للسبب الأول الذي عشت لأجله، "أن أكون".. لأثبت لكل الذين خذلوني في رحلة الحياة أني رغم خذلانهم وبدونهم استطعت تحقيق الكثير، وحافزي للانطلاق الغضب الذي أشعر به عليهم لخذلاني، والألم الذي تسببوا به لي.

3

أصبح هذا الوطن مريضًا في غرفة الانعاش.

حالته صعبةٌ جدًا، ويحتاج إلى معجزة تنقذه من الموت، ماعدا ذلك..
فلا أحد يعلم بالضبط إلى أين تؤول خطانا ..

الأمور تزداد صعوبة في كل النواحي وعلى كل المستويات، وأعلم أنه ليس من المجدي القلق على ماليس بأيدينا تغييره، لكن الأمر مقلق حتمًا..
اقتصاديًا، يبدو أن الطبقة الوسطى تنسحق أكثر وأكثر ولن يعود لها وجود بعد بعض الوقت..
سياسيًا؛ لا أدري لكن الأمور معلقة كدمية على حبل مشنقة، وتحتها ترقص الشياطين، والشعب الساذج يصفق للشياطين التي ستلتهمه بعد الحفلة..
أمنيًا .. انشقاقات الشعب وطوائفهم تزداد تشعبًا وغباءً..

هذا الوطن المريض لا يتحسن ونحن أهله لا نعرف عن حقيقة مرضه شيئًا ..
الأطباء يتكتمون على مرضه وحالته، ينتظرون موته بلهفة حتى يبيعوا أعضاءه..

4

غدًا يكتمل ٢٠ يومًا على وداعنا ..
وعلى معركتي مع النسيان،
ورغم خسائري الكثيرة والمضنية، لدي بعض انتصارات تشعرني أني تقدمت قليلًا .. وأن انتصاري الكبير عليك أو على ذكراك لابدّ آتٍ..
وسأحتفل بقرع كؤوسي ابتهاجًا بحبٍ جديد ونجاحات كبيرة،
وأسير بزهوٍ وخيلاء أمامك على طريقٍ مفروشٍ بالزهور وأوراق الورد، يمطرني فرحٌ لا يصنعه لي أحد.. كلا ..
انكساري بك لا يعني النهاية ..
ومثل شجرة المشمش المقطوعة في باحة منزلنا، تفجرت فيها الحياة ونمت كبيرة وغزيرة وأكثر خضرةً وجمالًا ..
سأعود أنا أقوى مما كنت عليه، أكثر جمالًا وبهاءً ..
انتظرني فحسب ..
الآن ابتدأ عداد انتظارك وتوقفت ساعة انتظاري لك للأبد..
وقريبًا سأعلن عن انتصاري!

5

يخيلُ إليّ أحيانًا أن أفكارنا مثل السكر في آلة صنع غزل البنات، ونحن مثل تلك الآلة، إيماننا بها مثل العصا التي يتجمع حولها غزل البنات..
الفكرة هي المادة الخام، ونحن من يمنحها حياة وشكلًا ودفعًا وعلى عصا إيماننا تتجمع سحابةً ملونة، تصبح حقيقةً ملموسة باللون الذي اخترناه مسبقًا ووضعنا سكرًا بذلك اللون..

تبدو أحداث حياتي دائمًا غريبة وغير مألوفة وأحيانًا مجنونة، فأقول لنفسي أني لم أرد قط نمطًا اعتياديًا يشبه حياة الآخرين.
ستسحقني رتابتها إن كانت عادية مملة..
وربما لأني أغرق في البكاء والاكتئاب، ترتدي أحداث حياتي كلها لون الدموع، وتصيبني الكآبة..
علي أن أتوقف الآن ..
وأن أفرش أفكاري بالورود وأرشها بعطور ساحرة وأبني جنتي الموعودة،
سأستخدم سكرًا ملونًا بأجمل الألوان..
لأصنع غزل بنات سحريًا ليس له مثيل ..

6

للموت الذي يسكنني،
أجمع قواي الخائرة كلها، في صراخ بلا صوت .. يمزق عني ثقل الصمت والوهن الذي يشدني لمقبرتي، أخور كثور وأزأر كأسد وأعوي كذئب..

تئن روحي المريضة..
أمزق شرنقة الكآبة وأنفض عني خيوط استسلامي لها ..
أشاهد تدفق الحياة بي وسيرها بدون توقف كماء حبس حتى فاض..

في معركتي الخاصة هذه .. أبتكر كل وسيلة للانتصار.. قررتُ ألا أهزم هذه المرة..
قررتُ أن أخرج منتصرة وأن أمد يديّ الفرح لكل أملاكي وأملاك الكآبة المهزومة وأطردها للأبد!

7

غفوتُ هذا المساء هربًا من ضيقي لنصف ساعة أفقت على طيف وجهك وذكرى لأولى لقاءاتنا كرشة عطر على قلبي، راودتني كحلم جميل..
وصورة ثلاث زهرات إحداهن بلون برتقالي والاثنتين باللون الأبيض،وانكسرت يومها البرتقالية كإعلان فجر حبنا الذي سيطوي نفسه قبل أن يصل لعنان السماء.
أظنني كبرت كثيرًا يا حبيبي..
لم تعد تؤلمني الذكريات، ولا يوجعني شوقي إليك ..
كلها تمر علي وأبتسم كأني أشاهد صورًا قديمة..
قريبًا أنت الآخر ستصبح ذكرى لا صلة لها بحاضري، وسأبتسم حين أسمع اسمك دون وجع ولا محاولات لحبس الدموع.

8

ليلةٌ عصيبة آخرى،
نمنا بصعوبة بعد استمرار إطلاق النار والألعاب النارية لساعات،
يقال أنه احتفال .. ويبدو أنه ترهيب للمدينة كلها واستعراض للقوى..
مئات من الجرحى "حصيلة احتفال النار".. وآلاف قلوب مرتجفة من الرعب!

إلهي لا تُؤمنّهم من فزعٍ بعدها أبدًا كما أفزعونا..

نمت وأنا أحضن دفتري هذا الذي يحوي صورة أمي الراحلة.

الرسالة السادسة عشرة: بداية الأسئلة!

1

"ثمانية أشهر" عمر حملي لتلك اللهفة والشغف،
عمر الشد والجذب الذي تمخض عن جنينٍ ميت..
أواه يا وجعًا لا يعلم بك سوى الله!
بعدك يا فتاي أبوابٌ من العذاب تفتح واحدًا تلو الآخر
وقربك دوامة تيه لا أول لها ولا آخر..
ما يفعل الله بعذابي بك، وبتعبك بي؟!

وأنا أعد الأيام في غيابك سجينة نفسي، أحاول نسيانك وتناسيك، والخوض في بركة الحياة حتى أذني،
أُغرق نفسي في زحمتها، أتعارك مع مشاكلها، أحاول ارتكاب الحماقات لأنساك.. ولا أنساك
وكأن أنفاسي وقودٌ لذكراك، ونبض قلبي امتداد لك بي!

أتمنى كارثة أكبر منك تحلُّ علي لأنساك،
ثم أتذكر ألا مصيبة أكبر من فقد أمي، ومع ذلك لم أنساك!

خذني إليك، دعني أبقى ملتصقة بك حتى يخنقني الملل ويذيب كل عواطفي نحوك..
بعدها ستتحرر روحينا من اللاصق الشمعي الذي يربطنا.

لا أستطيع التوقف عن التفكير في حل لنا، أقول "لنا" لأني أحسبك شريكي في هذا الجزء من لعبة اللعنة
أعيد حساباتي لكل حياتي، أتساءل أي ذنب اقترفته لأجازى ألمًا من هذا الصنف، ولعنة تيه وضياع أبدية، وإن كانت هذه منحة وأنت هديتي، فلأي غرض؟
أقولُ ربما كنتُ شيطانًا مريدًا في حياة سابقة، أو ربما شخصًا ظالمًا، ملكًا متجبرًا .. أو رجلًا قاسيًا يعبث بقلوب النساء..
ربما كنتُ وحشًا أفزع الكثيرين وسرق منهم أشياءً وأناسًا أحبوهم!
لا أدري حقًا، .. أهبةٌ ما أنا فيه ؟ أم عقابٌ ؟ أم امتحان؟
وكيف يكون امتحانًا سلبت مني الارادة في جوهره؟
هل كنت أنت إنسانًا صالحًا، أو نبيًا في حياةٍ آخرى لأكون أنا هديتك؟

هل أنا عقابك لكل الأذى الذي تسببت للآخرين؟ أقصد نساءً آخريات!
إن كانت حياتنا معادلةً فأنا لا أفهمها .. لا أفهمها مطلقًا!

أفقد إيماني وأنا في أشد الحاجة إليه
أنبش ذاكرتي عن بقاياه
ربما أراد الله سماع شكواي،
ربما أحتاج أن أستعيد إيماني لأن كلينا بحاجة إليه
سأصلي منذ اليوم طويلا
سأصلي لأجلك، وأن تعود إلي
وسأعمل بجدٍ ليوم لقاءك..
قل لي: هل أملك خيارًا آخر؟
لا أظن ذلك!
سأظل لمزيدٍ من الوقت أتذبذب بين آلام انتظارك وأوجاع افتقادك ومحاولات نسياني لك،
حتى يتم الله إرادته، ويحكم حكمه بيننا..

ماذا لو كان علي انتظارك لأعوام؟
الأيام الـ٢٠ الماضية كانت ثقيلة كأنها أعوام!
كيف ستمر الأعوام القادمة؟
«امنحني صبرًا لا ينفذ يا إلهي»

آهٍ يا حبيبي
لم أكن على يقين أنك تحبني بمثل اليقين الذي أصبحت به يوم ودعتك.
وكل كلمة «لا أحبك» في ذاكرتي أصبحت من وقتها «أحبك»
لا تحكم علي بالموت بنسيانك لي..

2

لم يا جولييت قتلت نفسك بعد روميو؟
أما كان أحرى بك أن تعيشي بعده لنفسك ولذكراه!
نحن النساء حمقاوات، نقتل أنفسنا ومن نحب أحيانًا ..
وأنا أول الحمقاوات يا حبيبي..

أبكي وأهدر عمري من أجل رجلٍ يهربُ مني ليحيا لامرأة آخرى!
لكن هل بيدي شيء؟
ذلك حكم سيد القلوب الذي يملكها بين يديه..
كانت طرقي مسدودة وذراعيك مفتوحتين
وكان الموت على يديك خياري، أو أن أختار الموت الآخر..
أمران أحلاهما .. الموت!

3

البشر يعبثون بمصائرهم، يندفعون جامحين بجنون وراء فكرة ليست لهم، لا يقيسون نتائج أفعالهم، ينقادون لحوافزهم اللامعقولة، ويدوسون على كل ماعداهم، ويسحقون كل مخالف لهم!
البقية يرزحون تحت عبء فقد كل شيء والنزوح والشتات!

ما العدل في أن تدور رحى البلاد والعباد ولا ينسحق سوى الضعفاء والمساكين؟
وحتى إن صلحت أوضاع البلاد بعد ذلك سيبقى هؤلاء بحال أدنى من غيرهم.
أعداد النازحين والذين فقدوا بيوتهم والجرحى والمتضررين والذين فقدوا مصادر رزقهم تتزايد كل يوم، والوضع من سيء لأسوأ!
دعونا نرحل نحن، فلم يعد في هذه البلاد خيرٌ لأمثالنا.

«الفرجة» ليست مسلية أبدًا،
يصعب علي أن أشاهد عمليات الجرف والسحق كل يوم..
والوطن يهوي إلى هاوية سحيقة بلا قرار،
لا يكفيني أن أنجو وأشاهد الكثيرين يتساقطون موتى!

4

وكأن كل الجنون والمتاعب في حياتي لا يكفيني،
ثمة ما يجرني لمطحنة جديدة ويجعل كل مرحلة من الحياة أصعب من التي قبلها بألف درجة،
ظلم البشر خانق، لا قرارة للوجع الذي يخلقه..

أقول لها : أقدار الله مقدور عليها، تتنزل وما بها وجع، بل تأتي معها دواءها وصبرها ورضاها وعوضها..
أما أذية البشر، ظلمهم، غدرهم وخيانتهم موجعة حد الموت، تجعلنا مسعورين من الألم نجري بلا وجهة، نتصرف بيأسٍ عميانًا

هل حياتنا عادلة إذًا؟
كل الحياة ليست عادلة، وعدم العدل فيها لا يعني الظلم، هناك توازنٌ مذهل
نحن نولد بقوىً مختلفة، نحمل أعباءنا حسبها، وهذه القوى ليست إشتراكية تمنح رغيف خبز لكل فرد، نحن مميزين جدًا، لكل واحدٍ منا قواه المختلفة وأعباءه التي لا تشبه أعباء أحد..

ثم إننا ندخل إمتحاناتٍ مختلفة بدرجات متفاوتة من الصعوبة
يختلف وعينا وإدراكنا للحياة، ويختلف حتى إحساسنا بحياتنا الخاصة وفهمنا لآلامنا وأوجاعنا وقوانا وأنفسنا..
أحيانًا نتعمق في الأمور محاولين فهمها حتى نفقد الخيط الأول من الوعي والإدراك
مازلت للحظة بعد مرور أكثر من ٧٠ يومًا أسأل نفسي .. هل حقًا ماتت أمي؟
وأنا التي تزور قبرها؟ وقبلت يومها جثمانها؟ وودعتها اليوم الذي سبق موتها؟ ورأيت الموت مكتوبًا على وجهها قبل شهرين ونصف من موتها؟
أسأل نفسي وأبكي ..كأني أعي للمرة الأولى، كأني أسمع الخبر لأول مرة..
صوتها لازال يرن في أذني وهي تسألني عن صحتي: « كيف استويتِ يا أمي؟» ووجهها الضاحك يبش في وجهي
..
قبل موتها بشهر تقريبًا .. فجأةً ..
شعرت بشوقٍ إليها ، ذهبت ووقفت أمامها وهي تكنس الأرض، قالت لي : "تشتي شي؟"
قلت : «لا .. أشتي أبوسك بس»
ضمتني وقبلتها
وقالت لي : «ليت عندي عشرة منك»
وكانت المرة الوحيدة في حياتي التي واتتني الجرأة لأطلب منها طلبًا مثل هذا، ولأصنع على وجهها فرحًا جميلًا مثل هذا كم نحن بخلاء ونضن على من نحب بلحظات مبهجة مثل هذه، نأخذ ونعطي فيها ما هو أثمن من كل كنوز الدنيا
ثم حين نفقدهم للأبد..
ينهشنا دمع موجع،

يلتهمني ندمٌ مثلُ ثقبٍ أسود لا ينتهي ألمه

بخلتْ علي الحياةُ بدفئ أمي،
أسمع حفيف ملابسها ووقع أقدامها تحت نافذتي، ولا أجرؤ أن أنادي باسمها
أمي التي كانت أمًا وعونًا لكل الناس إلايَ
كنت أنا ابنة وعونًا لكل الناس إلاها
وحرمْتُها مني،
اليوم أقسم أني سأكون خادمة للأبد لمن يمنحني منها قبلةً على جبينها..
لكن هيهات هيهات .. فما بيني وبين أمنيتي الصغيرة التي لم أفكر بها إلا بعد رحيل حبيبتي ..
مسافة أبعد من الطريق للسماء.

الرسالة السابعة عشرة: لعبة البحث عن الحقيقة!

1

وعندما انغمرت مدينتي تحت مدّ حبك ومشاعرك الجارفة لم تزدد إلا بهاءً وجمالًا، حبك العنيف غسلها وأظهر أجمل ما فيها.
والآن عندما انحسرت مياهك، وبجزرٍ عنيف اختفى فيه معظم البحر، وأصبح أرضًا جافة.. لن يزيدني ذلك إلا قوةً وصلابةً..

كل ليلة أبكي طويلًا دمعًا غزيرًا كمطر السماء،
وحين تبكي السماء، تبكي بلا خجلٍ ولا تخبئ دموعها،
لكني أمارس عادة البكاء السرية مدفونًا وجهي في خدِّ الوسادة..
أخبئ دموعي وحزني، أغطي عيني بنومٍ كاذبٍ حتى أطفئ احمرارهما،
أتوسل لإلهي بعد كل بكاء ألا أفقد بصري من كثرة البكاء!

2

الليلة الماضية فتحت صندوق الذكريات، وتصفحت الـ **100** رسالة الأولى في الموبايل بيننا ..
أواه يا فتاي لقد كنت مجنونًا بي..
ما الذي غيرك؟
أين ذهب خوفك وقلقك علي؟!

أين اختفت كل أحاسيسك الملهوفة وشغفك؟
أين أصبح فتاي الذي قبلني أول مرة ثم أخذ يدور كطفل ضائع في مكان قبلتنا الأولى، ويتراقص بجنون حول مكان تواجدي؟
أين كلمة «أحبك» التي كنت تغمرني بها تحاول من قلبك أن تجعلها كعلبة مخملية تضعني فيها لتحميني من كل شيء حتى نسمة الهواء وذرات الغبار؟

أين ذهب حبيبي الذي ليده لمسة سحرية تكتم أنفاسي وتعصف بكل أفكاري وكلماتي وتجبرني على الصمت،
وقبلة منه على يدي تجعلني أصعد للسماء أسير بغرورٍ أمام الملائكة،
وإن قبلني على شفتي أصبح سكرى بألذّ نبيذ من جنة الخلد،
أتضمخ من عطرها ومسكها،
أرفل في حريرها، وأملك جناحين من نور
حبيبي الذي إن ضمني إليه ؛ تلاشى بقية الكون ولم يبق سوانا في هذا الوجود، فلا أحزان ولا مخاوف، والحلم الوحيد الذي يتبقى لي، هو البقاء بين ذراعيه للأبد..
وحتى في هذه اللحظات الأشد روعة يا حبيبي، كان يصحو هاجس خوفي، من أن هذا لن يستمر طويلًا،
كان حلمًا جميلًا .. أجمل من أن يكون حقيقة!
ووجعي الآن يجعلني أشك أنك كنت موجودًا ولو للحظة في حياتي!

لا أعلم حتى في أي بقعة من هذه الأرض أنت!
..أعرف أنك حي إن كان هناك جديد على صفحتك في «الفيس بوك» وماعدا ذلك تتنازعني الشكوك وتمزقني بصمت.

أتساءل لم يذيقني الله من كأس السعادة ألذ رشفة ثم ينزعها مني بقوة؟
أمن أجل أن أتأكد من زوالها؟
أقسم أني أعلم ولست بحاجة لهذا العذاب لأدرك ذلك!
أم من أجل أن أؤمن بها، وأسعى لها بدلاً من استسلامي للعذاب والألم بطريقتي الخرقاء!
لست أدري حقًا..

3

تراودني صور واضحة عن أشياء كثيرة بعضها غريب، وبعضها تبدو كأنها في المستقبل،
بعضها يبدو مخيفًا والآخر مبهجًا
لكن؛
كثيرٌمن الصور تقول لي أنك فقدتني للأبد..
وأنك ستعود حتمًا، ولكن حين يفوت الأوان!
أصبحت أنا الآخرى مثلك مسعورة بجنون البحث عن الحقيقة،

لكني لا أشبهك،
لأني تعلمت في بداية اللعبة أنه لا حقائق مطلقة، لكني في سعيي هذا أحاول الوصول لشيء ما، وهذا الشيء يحثني على الاستمرار في السعي وهكذا في دوامة لا متناهية من السعي والبحث عن مزيد من الرغبة في السعي!

بعض تلك الصور يجعلني أظن أن خيالي خصبٌ وممتليء فحسب،
وأن ما أراه ينبغي أن أستفيد منه بكتابته.. لكن، أتعلم؟
كتابة تلك الصور يفقدني القدرة على رؤية المزيد!
لذا لا أكتبها وأحتفظ بها لنفسي.

للحظاتٍ قصيرةٍ وبالغة الصغر أدركُ أشياءً لم أكن لأدركها في حياتي قط،
تبدو لي جلية، كقوانين لهذه الحياة، كقواعد للعيش،
ثم أفقد ذلك الادراك الذي يبدو مطلقًا،
أفقده تمامًا ولا أتذكره..
كأنه شيء مقدسٌ لا يحق لي إبقاؤه في صدري طويلا

لدهشة مثل هذه اللحظات أعيش كل لحظة محاولة أن أبقى في حالة وعيٍ وإدراكٍ متواصلين
هل ستصلح الصوفية حالي وتلملم شتاتي؟
ربما.. في وقتٍ ما كانت ستكون حلًا جميلًا!
لكن الآن لا ...
لا أظن أن بوسع دينٍ ما أو طريقةٍ، احتواء هذا الجنون الذي أمتليء به الآن!

4

إنني أفقدك، تتلاشى صورك من ذاكرتي الحية ومن كياني شيئًا فشيئًا..
وقريبًا لن يعود لك وجود إلا في ذاكرة الماضي!

سأستخدم جثتك لأتسلق سلم الوصول إلى ما أريد، وأعرف أن هذا عادلٌ جدًا، وأنت تعرف ذلك جيدًا
حياتك لم تكن عادلة معي، لكن موتك وحصولي على جثتك كميراثٍ أمرٌ جيدٌ لامرأةٍ لا خبرة لها بالحياة ولا تملك حيلًا كافيةً للفوز بمعركةٍ غير عادلة
جثة الساحر مليئة بالأسرار مثله

والجني المحبوس في القمقم سيستخدمها للخلاص، ولتحرير أميرة الأحلام العالقة في قلعة الشياطين،
صار بإمكانك يا فتاي المجحف في الظلم أبدًا أن تقدم لي خدمة جليلة الآن
عليك أن تكون ممتلئًا بالرضى

5

يدور في رأسي لحن جنائزي لا أتذكر أين سمعته،
لحن تعزفه آلة منفردة،
وكأن أوتارها تئن حزنًا لوقع ذلك اللحن المؤلم،
نحيبه الموجع يقصم رأسي، وينهش سكينة نفسي..

أتطلع في وجوه الناس فلا أرى سوى الموت الشاحب خلف عيونهم،
صدقًا يا فتاي كانت أيامًا صعبة تلك التي عشناها،
لا أظنك تعرف صعوبة أن ترى الوجع والخوف والمرارة واليأس والاحباط على وجوه الناس
بالنسبة لك؛ ما يحدث أشبه برؤية مدرس التشريح لجثة ميت،
هو يعمل أدواته فيها،
وأنت تعمل تحليلاتك فيها وسخريتك
كلاكما لا يرى روح الإنسانية ولا متاعبها في ذلك الميت قبل موته!

يفوتك الكثير حين لا ترى الناس فردًا فردًا بدل أن تراهم تكتلات وتشابهات وتجمعات،
بعدُ .. لم تصبح إنسانًا،
مع أني مؤخرًا ظننت أنك اكتسبت بعض العقل وقليلًا من الحكمة
أظنك أصبحت تعرف قليلًا لم لا أتوقف عن مناداتك بالأحمق.

تعبتُ منك!
لا أريد ملاحقة أرنبٍ لا يكفُ عن الركض لآخر العمر،
بل أنت أسوأ من أرنب أحلام مستغانمي الذي ذكرته في كتابها،
أنت تشبه لعنة من الضياع..
وأنا؛ .. أنا لا أرغب في تضييع عمري الجميل وهدايا السماء في ملاحقة قطعة من الغباء والوهم..
لن أبكي بعد اليوم على اللبن المراق!
ينتظرني حلمٌ جميلٌ، سأراه إن أغلقت عليك خلف باب النسيان..

وداعًا يا فتاي!

6

هل نحن الذين نجر هذا الوطن للموت ؟
أم هو الذي يدفعنا نحوه قسرًا؟
لست أدري!!
لكن البعض هنا يحترفون الرقص على جماجم الموتى.

هل تتعجب لماذا لازلت أكتب إليك؟
السبب بسيط جدًا؛ لأني ابتدأت الكتابة لأجل أن أكتب إليك، ولأن ما بيننا رباط مقدسٌ، أشبه برباط الدم، لا تحله قرارتي بالنسيان أو قراراتك بالهرب!

أيًا ما كانت ستؤول إليه علاقتنا..
لا يهم ذلك!
المهم أني سأستمر بالكتابة إليك...

كنت أحدثك عن أوضاع هذا الوطن،
يبدو أننا بحالٍ تسوء وستسوء
أشعر بالانسحاق تحت وطأة ثقل العيش الذي يرزح تحته أضعف الناس...
ثم إلى أين ؟
ينتابني هلعٌ عند رؤية صورة للمستقبل، مرعبة ومشوشة وشديدة الألم.

قديمًا؛ عندما تهدم سد مأرب، كل الذين رحلوا أصبحت لهم الحياة، وأصبحوا آدميين، وصنعوا حضارات، ونحن الذين بقينا هنا، علقنا في لعنة الانسحاق، ربما علينا الرحيل نحن أيضًا..
إلى أي مكان لا يقبع فيه ملكُ الموت مثلما يقبع في بلادي!
..
النار التي أشعلوها تلتهم كل شيء!
ولم تبقِ لنا شيئًا في هذا الوطن، فعلامَ نبقى؟!

سيذرون الرماد على بقايا أرواحنا حتى تختفي ملامحنا!
سحقًا!

كيف وصلنا إلى هنا ؟!

7

منذ ليلتين طالعت القمر، بجواره كانت غيمة سوداء وغشاء سحابي باهت يلتصق به،
تلك رهبة المساء تكسو المدينة الغارقة بالظلمة،
خائفة أنا من الموت الذي لاأفهمه،
كلما أغرقت في الحديث عنه والتأمل فيه زاد ولهي به وزادت مخاوفي،
أصبح مثل طفل خائف في الظلمة، لايدرك أن الفجر آتٍ..
لاأريد أن أموت!
ولا أريد أن أمر مجددًا بتجربة أن أفقد أحدًا
كم يؤلمني ذلك!
وأحتاج أن يمسك الله قلبي كي لا يتمشع أشلاءً ولا ينحلُّ نسيجه من رعبي.
لاأدري إن كنت سأنام الليلة،
جسدي يرتجف من رهبة الفكرة،
وأنا أحترق بتأملاتي..
وحده الله يعلم لم أعاني بشدة من أفكاري،
لم تتدفق هذه الأحاسيس بلا وجلٍ ولا إشفاق بي حتى تغمرني ، وأفقد نفسي في خضمها،
أو أني أكون "أنا" في أعمق تجليات روحي..

كأن تيارًا كهربائيًا يتدفق كالماء ويسري في كل جسدي
لاأشعر أني أتنفس
ولاأفهم ما يحدث لي..
لذا سأتوقف عن الكتابة للآن..

أتمنى لك ليلة هادئة بعيدًا عن ما أمر به...

الرسالة الثامنة عشرة: بعض النقاط على حروف الإجابة!

1

الليلة الماضية، لم أستطع الذهاب لدورة المياه إلا بصعوبة بالغة لشدة خوفي، ولحسن حظي أنه لا توجد فيها أي مرايا..
لا أجرؤ على رؤية وجهي في المرآة حين أكون خائفة ومرعوبة
عيناي تصبحان لامعتين بشكل مرعب وكأني ابن آوى تلمع عيناه في أشد الليالي حلكة
ويزداد خوفي من نفسي التي يبدو لي خوفي منها وضعًا طبيعيًا عمومًا،
لكنه يصبح هاجسًا مرعبًا؛ يجعلني أتمنى لو أنفصل عني وأركض هاربة إلى الطرف الآخر من العالم..
سأحدثك عن مخاوفي هذه في مرة آخرى ، الآن دعني أكمل حديثي عن الليلة الماضية..
لم أكن قد صليت العشاء، ومؤخرًا أصبحت أصلي بانتظام، لأن روحي أصبحت خالية من أي صلاة؛ هذا إن كانت لي روح أبقيتها بعد رحيلك
وأسأل نفسي لمَ أصلي؟
لماذا نصلي؟
أتذكر حين تساءلنا ذات يوم، واتفقنا أن نقوم ببحثٍ روحي لنجد جوابًا؛ وأظنني سأستمر في البحث بدونك..
وإن تعثرت سأجد أصدقاء جيدين يقيلون عثرتي ويمسكون يدي لأنهض بدلًا منك.

2

مشبعة بالكراهية حتى أعماقي كراهية لا محدودة لكل بشاعة الناس التي أمكنني أن أراها في حياتي؛ لزيفهم، لأكاذيبهم، لسلوكهم الخالي من الإنسانية لكن قوانيني الخاصة تمنعني من الحديث عن كل هذا السوء أو التعامل بناء عليه أشعر بالكراهية لنفسي أحيانًا لأني أرى كل هذا السواد وأحتفظ برؤيته لنفسي لا أحد يحب أن تعرّى روحه وجوانب نفسه الفاسدة؛ ولا حتى أنا!
سأستر الآخرين علّ ذلك يعود علي بالستر!

كما أنه بإمكاني رؤية عيوب الآخرين أصبح بإمكاني رؤية محاسنهم والنقاط الجميلة التي تلمع على أرواحهم، وتجاهل ماعداها، والتعامل معهم بأبهى مافيهم، وما يريدون أن يكونوا عليه..

كلما قابلت إنسانًا رأيت كل عيوبه من اللقاء الأول، ثم أحفظها بعيدًا في خزانة داخلي، تبقى للعلم فقط والتهيؤ لكل ما يمكن أن يفعله، وبعدها أقضي الأيام التالية في معرفة كل جميلة بهم والتعامل بناءً عليه.
لا أذكر كيف بدأت التصرف بهذه الطريقة، كل ما أذكره أني بدأت في سنٍ مبكرة تكوين حكمٍ شعوريٍ عن الشخص الذي يقف أمامي، ومهما تبدلت مشاعري نحوه أو رأيي فيه أعود دائمًا للحكم الأول، للشعور الأول والانطباع الذي تكون أول مرة عن هذا الشخص.

3

وداعنا الأخير، أتيتني وكنت ترتجف قبل أن تراني؛ وجهك بدا شاحبًا يومها ومتعبًا
فقط لم أعِ إلا اللحظة أنك كنت تحبني أكثر مما فعلتَ دومًا
احتجتُ كل هذا الوقت لأفهم؛
لأنك يا أحمق قضيت الوقت وأنت تقاتل مشاعرك نحوي وتحاول اقناعي أنك لا تحبني ..
وأقرُّ حقًا أنك أقدمت على تضحيةٍ كبيرةٍ حين أرسلتني بعيدًا عنك وحين قررت الهرب بعيدًا عني ضحيتَ بي وبمشاعرك نحوي،
ودفنت كل جميلٍ بيننا بسبب أعباء ماضيك..
أحمق!
في كل مرةٍ أجد سببًا لتسميتك بالأحمق يا وجه الحماقة الأكمل
هل سألتك أن تحبني بعيدًا عن أعباء ماضيك أو بالتحلل منه؟!
هل كنت لأريدك متخلصًا من ثقل الأحمال التي عليك؟
أحببتك وأنت في غمار تخبطك في حياتك السابقة
أحببتك مثلما أنت، بكل ماضيك المعجون ومستقبلك المجهول
ولحظتك الآنية؛ ولحظاتك الماضية كلها؛ والآتية كلها..
أحببتك بكل معاناتك وآلامك
أحببتك وأردت أن تكون روحي جدارًا تستند عليه
وأكون لك أرضًا ثابتةً تسير عليها
كنت لأفعل لك
وأكون لك
ما لا يمكنني أن أكونه لأي مخلوق آخر
لكنك أحمق..

لأنك لم تدرك ذلك، ولن تدركه إلا بعد فوات الأوان
بأي حالٍ أنا شاكرة لك هروبك بعيدًا عني
لولا ذلك،
لولا خسائري في تجربتي معك؛
لما فُتحت لي عوالم آخرى
لما تجلت في ذهني إدراكات من نوع آخر
بوجودك في حياتي لم أكن لأرى ذلك النور
ووجهك يحجب عني بقية الرؤى
كنت أرسم نفسي في حدود إطارك
أما كان من الأسهل على كلينا أن تقر بحبك لي بدلًا من أن يصبح تحديًا لي أحاول إثباته والتأكد من حقيقته، ربما لو أقررت به لكنا نتحادث عقليًا بعيدًا عن كل الجنون الذي سرنا فيه وما صرنا إلى هنا..
لكن لا معنى لكلمة «لو» في أمرٍ مقضي مسبقًا وانتهى الحكم فيه بالفعل..
لكنك لا تعلم أن حبك لي كان كبيرًا، كبيرًا منذ البداية وهذا كان سببًا من الأسباب لينحني قلبي له راكعًا، وأهيم أنا الآخرى بشعفٍ بك لازلت مصممة على نسيانك وتجاوزك بكل قوتي،
ولا أزال بعد مرور ٢٥ يومًا أحس بطيفك بين الحين والآخر، يزورني بشغفٍ في كل مرة أصر فيها على النسيان لكني سأنتصر وسأنساك وسأستمر بالحياة بعدك بشكلٍ أفضل وأروع مما لو كنت معك..

4

ينتابني إضطرابٌ مهول
أصبتُ بعدوانية في مزاجي، وتلبك في مشاعري
أعاني من صراعات شديدة
وأعلم أن كل هذا متعلقٌ بك؛
آتٍ من غرفتك في قلبي
لأن هذا ما كنت أعانيه في وجودي بقربك
وما أعانيه في غياباتك الكثيرة
أقرُّ بأن الفراغ الذي خلفته لازال كبيرًا جدًا
يجعلني أدور في رحى من الأعمال الشاقة اللامتناهية
وحين أتوقف أحس بالخواء ذاته

لا ينتهي!
أظنني بحاجة لوقتٍ طويل حتى يمتليء ثانية، أو ربما شخصًا آخرًا ليملأ فراغاتك الموجودة في جسدي وروحي وقلبي
هذا الخواء يشعرني بأن روحي ليست موجودة
«هل رحلت حقًا خلفك؟» لا أكفُّ عن سؤال نفسي!
تبدو الأمور أكثر تعقيدًا مما كنت تفهمني إياه وما تقوله لي
أحاول البحث باستمرار عن إجاباتٍ لما مررنا به
لما أمر به الآن
الخروج عن إجاباتك وأحاديثك وأفكارك التي غسلت بها عقلي يجعلني أدور في دوامات عذابٍ لا نهائي
ولكنها لم تعد كافية!
لم تعد إجاباتك كافية لتبقي روحي وعقلي ساكنين
أتذكر فترات الصراعات التي عشناها، لشهرين ربما..
لم يكن ذلك الأمر طبيعيًا أبدًا ..
ولم تكن عودتك طبيعية أيضًا
وأشعر في أوقاتٍ كثيرة أني اضُطهدت وأذُللت واسُتغللت؛
وأنت لا تفهم ذلك حقًا
لا تفهم مرارة ما جعلتني أمر به
ولا تفهم أن ما فعلته بك لم يكن انتقامًا ولا غدرًا ولا شرًا خالصًا، لم يكن لصالحي أبدًا
ولم يطفيء لهيبي أني مهما فعلته لأنه لم يكن لأجلي..
وباسترجاع كل الكلمات والأحداث، تلتهمني نار لا آخر لها
لا قرارة لذلك الوجع الذي ينبعث كزلزال يشقني ويبعثر مدني، ويبتلع في طياته ملامح إنسانيتي
أن أفهم كل ما مررت أنت به وما تمر به الآن أصبح ممكنًا، وبمرور الوقت أصبحت أفهمك أكثر لكنك لا تفهم ما تسببت به من الأذى لي، ولا تحاول أن تفهم!

أعرف أنك تحتاج وقتًا لإصلاح مشاعرك وقلبك، وفهم أشياء عميقة في داخلك، والتوصل إلى أسباب معاناتك، لكن ذلك يبقي لي صورة واحدة في خيالي..
صورة جسدٍ عارٍ مدمي، مرمي على قارعة طريق ثلجي بلا حراك
كان ذلك الوجه يبكي
والدموع تتجمد في عينيه .. وتزيده ألمًا ..
وظلّ رحيلك وتخليك عن ذلك الجسد، أو روحي التي أدميتها أنت.

بوداعك الأخير أنت حاولت إصلاح الأمور،
لكن ذلك الوجع لازال موجودًا ينهش قلبي
ولئلا تتألم روحك في وداعنا الأخير
كنت أتلو صلواتٍ كثيرة قبل لقاءنا
كنت ألقي عليك تعاويذًا للأمان
أعيد إليك كل ما منحتني إياه ..
من شفتيك وقلبك وعينيك
كنت أدعو باستمرار أن أقتسم معك ألمك ، أو أن آخذه كله
حاولت أن أساعدك، أن أكون في صفك ضد المرأة التي أحبتك بي
حبست كبريائي المجروح في سجن قلبي
دست على أشواقي ووجعي
بكيت لليالٍ طويلة حتى أودعك بابتسامة صافية
حتى أدعك تذهب بالطريقة التي تتمناها أنت..
لم أكن قط أنانية، ولا حتى في أشد أوقات حاجتي لك..
لكن هل تفهم أنت هذا؟
هل تفهم كيف يسحق إنسان نفسه وآدميته كونه يرفع راية الحب بكلتا يديه..
إن الحب الذي تدعيه لي يتهاوى
ليتك رفضتني حين طلبت منك السماح لي بأن أحبك!
لكن ما كان بيدك أن ترفضني وقد كنت واقعًا في حبي وينتابك فضول طفولي نحوي..
قل لي.. هل تفكر حقًا أن بإمكانك العودة لي بعد كل هذه المرارة التي جرعتني؟ بعد كل هذه الأوجاع التي أذقتني إياها؟
بعد كل ذاك الإذلال لأنوثتي؟ وكل الكسور التي أحدثتها في كبريائي وإنسانيتي؟
لا أدري بأي وجه ستقابلني بعدها إن قررت الرجوع لي!
أنا لا أحتاج حبًا أتعذب فيه بظلم حبيبي، وظلمات حياته، أقتات على فتات مزاجه، وأعيش لأجل أن تذهب آلامه..
أحتاج رجلًا يعيد لي الشعور بأني امرأة مميزة وأني ملكة قلبه
رجلًا يجعلني أرى في الحياة سببًا أعيش من أجله بفرح
يعاملني كأميرة،
كطفلةٍ مدللة..
إنسانًا أتكئ عليه لا عبئًا أرزح تحته!

أنا قد تعبت يا فتاي..
حياتي كانت رحلة مضنية، والآن آن أن أستريح بين يدي حبيب رحيمٍ دافيء
لا يؤذي روحه قربي منه
ولا يرى سوى عيني جنته
حبيب لا يشكو ضيقًا لوجودي في حياته
حبيبِ يراني أول الفرح وآخره
أكون له وحده ويكون لي وحدي
فأنا امرأة تكره الشراكة في أي شيء
أريد أن تكون الأشياء خالصة لي وحدي أو لا أريدها!
أحتاج رجلًا أكون له لهيب الحياة
هدية السماء
وكنزه المخبأ له
رجلًا أرى في عينيه امتنانًا حين يراني
وفرحًا خالصًا حين أكون له
رجلًا حين يحملني يعرف أنه يحمل سعادته الكبيرة
أكون في حياته النور الأبدي
لا يتسبب لي بالألم فأنا تعبت من الآلام..

5

أعترف بأن نوبات جنون تصيبني مؤخرًا، وأفكار ثقيلة تملأ رأسي، لا أخشى أن أنفذها أو أن أمضي بتهور لتنفيذها
ستقودني خطاي لما هو مقدر لي وقسمتي من النصيب دومًا
لست خائفة، ولا مترددة..
حين أشعر أني مستعدة لمطاردة فكرة ما ..
فسأذهب حتمًا.

الرسالة التاسعة عشرة: مطر .. مطر!

1

أحتاج أن أسامح نفسي،
قبل أن أسامح كل الذين آذوني واستغلوني في حياتي..

لساعاتٍ طويلة بكيت هذه الليلة، دموعي كالمطر الذي لا يتوقف
وعبارتي التي أرددها: «ليتني كنت غيمة لأنتهي بالبكاء»
لكني غيمة ماطرة لا ينهيها البكاء!

صداعٌ يسحق رأسي، والمشاعر المضطربة تلتهمني وأعجز أن أنام
قلبي الصغير كطفلٍ ضائعٍ، والحزن والوجع والاحباط وكل أنواع المشاعر الأليمة تحيط به كأنها عصابة من الأشرار
أتخيل وجوههم الخالية من الرحمة واحدًا واحدًا..
ولا أستطيع التوقف عن البكاء اشفاقًا على قلبي الطفل
دموعي التي تسيل بغزارة أصبحت موضع تسليتنا أنا وإخوتي: نسميها المطر، ونضحك حين نراها، وأنا لا حيلة لي في إيقافها..
أتهرب من التفكير بكل الأشياء التي تتسبب بنزولها ، لكن عيني متعبتان، وتدمعان عند التحديق في الشاشة أو حتى عند الكتابة لوقتٍ طويل..

وتوقفت أخيرًا عن البكاء، حين قررت أن علي التوقف عن الاشفاق على نفسي، وتحمل مسؤولياتي في الحياة..
ليس سهلًا أن أصحو فجأة وأجد كل هذه الأحمال على قلبي؛

أقسم أني صبورة؛ صبورة مثل تمثال بوجهٍ حزين، الفرق الوحيد أن عيناي مليئتان بالدموع..

أبحث بصدق عن حلول جذرية لاكتئابي
أجرب أشياء كثيرة، أحاول علاج نفسي بنفسي، أقرأ وأتعلم أشياء جديدة، أمارس طقوسًا متنوعة من الأعمال المجهدة حتى التعويذات السحرية!

والكتابة إليك تساعدني حتمًا،
لكن هل تعتبر هذه مساعدة منك ؟ أنت الذي تخليت عني في أشد ما أكون حاجةً إليك!!
إنني أصلي باستمرار أن تبكي دموعي، وأن تسيل على خديك أوجاعي..
جزءٌ كبيرٌ من انكساري وتحطمي كان على يديك..
لا تعد أبدًا ولا ترني وجهك ما حييت..
لن أكون بحاجةٍ إليك بعد الآن أبدًا.

دموعي تبلل أوراق دفتري هذا، تتساقط على ملابسي، تغرق وسادتي، أجدها أحيانًا في طبق طعامي، وفي كل مكانٍ أمارس فيه عادة البكاء السرية والجهرية..

أخبرت صديقة أني اكتشفت نوعًا جديدًا من الحمية، حمية الدموع، ابكي كثيرًا ليخف وزنك ويخفت بصرك!
وحين سألتني هل أفكر بالحب مجددًا، قلت لها من يريد حبيبة متورمة العينين خزانها مملوء بالدموع للآخر ولا ينفذ!

2

لا أدري حقًا كم تتحمل الأمهات من أجل أبنائهن، لا أدري عن ذلك حقًا، لكن القيام بربع تلك المهمة صعبٌ جدًا..
أصلي لأجل أمي كثيرًا،
كانت امرأة قوية بقيت تحارب حتى النهاية، وحده الله يعلم ما بقلبها من الألم لأجلي، أشعر أحيانًا أنها تراقبني من بعيد وتبكي لأجلي، أريد أن أقول لها ألا تبكي.. وأني سعيدة، لكني أعلم أن هذه كذبة.. وأنها ترى دموعي التي لا تتوقف!

ليتني أمتلك نصف قوتك، ودفء روحك يا حبيبتي،
لكنت أكثر فائدة وأقل ألمًا
سأستمد شجاعتي من التفكير بك،
أريدك أن تريني شجاعة وسعيدة وقوية،
سأتوقف عن محاولات الهرب، وسأخوض معركتي..
باركيني أرجوك

3

تتآمر المغنيات العربيات مع الرجل؛
معظم كلمات الأغاني تجعلنا لا نستطيع العيش بدونهم رغم حماقتهم وتفاهتهم..
أستمع للأغنية مرة تلو الآخرى، وكل مرة أقول: حمقاوات .. نحن حمقاوات..
نريد أن نبقى مكاننا في المقعد الخلفي، مع أن لدينا رخصة القيادة وكل المؤهلات لقيادة العالم!
سحقًا لكل أغاني الحب التي تَوقف العالم عند نقطة حماقة!

الأرض لا تتوقف عن الدوران أيًا كانت بشاعة الجرائم التي تدور عليها، أو كان حجم الحزن الذي تحمله قلوب ساكنيها!
الحياة تستمر رغم أنوفنا، ورغم أنف كل كلمات الأغاني العربية!

الرسالة العشرون: الوصول إلى السكينة

1

ثلاثة بيجامات؛ هي ما أرتديه طوال اليوم، واحدة للنوم.. وآخرى لأعمال المنزل.. وثالثة لبقية اليوم..
إجازة طويلة، ثلاثة أسابيع تقريبًا مرت وبقي أسبوعان؛
على الأرجح سأعود أكثر نشاطًا وتفاعلًا وحماسةً عن ذي قبل، عطلة فريدة من نوعها، جربت الكثير من الأنشطة، من الرقص إلى الطبخ إلى المكياج والعناية بنفسي، إلى ممارسة اليوجا وبعض طقوسٍ غريبة..
ومن قراءة كتب ومشاهدة أفلام والكتابة والرسم والتنظيف إلى الاسترخاء وعمل لاشيء..
قضيت الكثير من الوقت مع أسرتي، وعشت إضطرابات نفسية مختلفة، ضحكٌ هستيري، بكاءٌ بلا توقف، خوفٌ ورعب، قلق وتوتر، وجو مشحون وكراهية.. وحبٌ ودفء.

2

الآن أقف للحظة أتأمل نفسي،
بعد ليل أمس الحزين والمبلل بالدموع، اليوم أحس بكثير من الخواء والفراغات..
ليس الأمر أني أفتقدك..
لكني أعلم أن الحياة التي كان يمنحها وجودك بي.. معي .. داخلي لم تعد هناك، انطفأت مثلما يخمد أحدهم ضوء شمعة بنفخةٍ واحدة..

لو أني أفتقدك لكان هذا أمرًا جيدًا، وامتدادًا لحياتك بي، وعلامة بقاء دفء حبي لك؛ لكني لا أفتقدك!
أحتاجك يا «.....»، أحتاجك كحاجة مريض لجراحة عاجلة لا يريدها، لم تعد الألقاب تكفي لأناديك، أريد أن أصرخ باسمك، أن أهتف به ليل نهار، في نومي وصحوي..
أريده أن يتسرب في أنفاسي، أن يصبح خلفية الأفكار كلها في رأسي..
أريد أن أمضي قدمًا ولا أحتاجك!
تضحكك تناقاضاتي؟ أليس كذلك؟!

تؤلمني هذه التمزقات التي لا ترسو بي على بر مطلقًا!
يؤلمني أن جزءًا مني لايزال معلقًا بك، لا أستطيع فكاكه منك مهما حاولت..
محاولات السماح والنسيان والتأمل والهرب والشفاء كلها غير مجدية!
إذ أني حين أجد النار في صدري أعلم أنها منك لا محالة..
كيف سأعيش العمر كله مرهونًا لهذه اللحظات التي تربطني بك؟
هل فككت وثاقي يوم أذنتُ لكَ بالرحيل؟

أم أنك أبقيتَ حولي خيطًا يربطني بك للأبد؟
أظنك فعلت!
وهي طريقة لئيمة، ولو أني واثقة تمامًا أنك لن تعي لؤمها ما حييت، ولم تكن تنوي الاساءة حين فعلت.

أتفهم احتياجك للابتعاد وللوقت، لكن الوقت الذي مر الآن يكاد يكون شهرًا، وأنت يبدو كأنك تحتاج كل الوقت للأبد، وهذا الوقت يسير من عمري ويستهلك من روحي..
تقتلني دون شعور منك !
وهذا ما يفعله كل الذين أحبهم ودون استثناء!

3

أريد أن أكون منصفة معك ..
أن أتحدث عن كل الأشياء التي أحببتها فيك، وكيف أحببت نفسي في ظلالك..
كيف رأيت نفسي في عينيك مشرقة وجميلة..
وكيف أنك أعطيتني دافعًا لأحيا، وسببًا لأعيش، وكوني معنى لحياتك الضائعة، أعطيتك سببًا تعيش لأجله ولو لبعض الوقت، القليل منه فقط..
أعطيت مذاقًا لحياتي بدفئك وجنونك وحماقتك، بحنانك وبساطتك الطفولية التي كنت أراها في ابتسامتك الساذجة، واهتمامك الملح، والفريد من نوعه، يجعلك ترى الانسان بأجمل مافيه، وتجعله يرى ميزات لم يكن ليعرفها في نفسه، تخبرالآخرين بصدق ونقاء عن عيونهم الجميلة وأصواتهم الدافئة، وحماسهم ونشاطهم، عن بهاء أوراحهم، حتى يشعروا أنهم حقًا مميزين، لكن في كل هذا أنت المميز حقًا لأنك استطعت أن ترى كل هذا..
وأن مركز الكون لم تكن ذاتك فحسب كما يبدو..

لم أعرف فيك خبثًا ولا دناءة ولا حقدًا ..
بل قلبًا متدفقًا طيبة وسذاجة، ونقاوة..
أعرف حقًا لم يحبك كل أولئك الناس..
لأنك فقط ذا سريرة لا تنشغل بإيذاء الناس..
أقر بأنك آذيتني كما لم يفعل أي شخصٍ آخرٍ في حياتي ..
وتركتني لوقتٍ طويلٍ مسعورة بالألم، مجنونة لا أملك فكرًا ولا عقلًا أتصرف بهما ..
لكني أعلم أيضًا أنك آذيتني حماقةً وجهلًا وغباءً..
ربما لهذا وذاك لا يستطيع قلبي أن يمتليء حقدًا عليك ..
ولا أستطيع أن أغضب منك للنهاية..

كنت الشخص الذي انتشلني طفلةً من ألعابي الطينية وغسل قدمي الحافيتين بيديه، وقبل شعر رأسي المشعث..
وألبسني حلة أميرة، ورفعني بجناحين للسماء إلى جنة الحب..

وكنت كذلك الشخص الذي دفعني من ذلك العلو وتركني أهوي وأهوي ..
لكني لم أرتطم بالأرض وأتحطم!
كنت قد تركتني مربوطة بخيطٍ أحمر تشدني منه حين تشاء كلعبة يويو!
وأنا لا أحتمل لعبتك هذه وتعبت فيها كثيرًا !
على يديك شعرت أني محبوبة ومرغوبة ومميزة ، وعلى يديك شعرت أني منبوذة ومكروهة وبشعة!

أريد أن أحب شخصًا آخر سواك،
أن أمتلئ شغفًا به، أن أعيش حياةً آخرى، أن أتزوج ويكون لدي عائلة صغيرة أمنحها إهتمامي..

4

حولي فراغ .. لا أحس بجسدي، أصبح في كامل استرخائه في وضعية يوغا..
وهاقد بدأت جلسة التأمل..
أصغي لأنفاسي، .. لنبض قلبي ..
فوران الألم يبدأ من بعيد.. من مكانٍ ما عميقٍ يمتد حتى طفولتي الأولى..
.. أصغي لوجعي
ينفجر من ثقب في قلبي.. وينبجس دمًا حارًا ..
هذه آلامي تتدفق إلى السطح، ساخنةً تنبض بالحياة..
وتنسكب دموعي،،
حارقةً وغزيرة... بصمت..

ويزداد تدفق الآلام..
لم أشعر قط أني تعاملت مع آلامي بشكل سليمٍ لذا هي لا تشفى..
أكتب كل حرفٍ الآن عن تلك اللحظات من تدفق الألم وأنا أرتجف..
"أنا خائفة"..
خائفة بشدة مما هو آتٍ ..
خائفة من فشلٍ متكررٍ.. من هزائم وآلام تالية..
أخشى ألا أجد فرحي، أن تقفل في وجهي الأبواب..
أن أشعر أني منبوذة مجددًا ..
خائفة من خيبات كبيرة وخسارات مفجعة..
لم أكن أعي مخاوفي في سكرة آلام الفجيعة ووجع الخسارة الذي أبقاني مسعورة..
لم أكن أفهم شيئًا ولازلت لا أفهم!
لكني على الأقل أصبحت أعرف أخطائي وضعفي..
الأمر صعبٌ حقًا! لكنه جعلني خير صديقةٍ لنفسي.

5

منذ أكثر من أسبوع لم أشعر بارتياح كالذي أشعر به الآن،
سكنت الأوجاع قليلًا، وأصبح بإمكاني التنفس، كما أن حواسي تعمل بشكل أفضل، أشعر أني قادرة على الضحك والابتسام بشكل حقيقي، وهذا مالم أفعله منذ وقتٍ طويلٍ...

أريد أن يستمر هذا الشعور الجيد لوقتٍ أطول ..
أفكر في كل الأشياء الثابتة التي أملكها وأظن أنها ستبقى معي لوقتٍ طويل جدًا ويصعب فقدانها..
لا شيء من هذا القبيل، لاشيء على الاطلاق.
أتذكر البيت الشعري الذي أظنه للشافعي:
نفسي التي تملك الأشياء ذاهبة
فكيف أبكي على شيء إذا ذهبا؟

أعيد التفكير في كل الأشياء التي أملكها في الوقت الحالي، والتي يمكنني الاستفادة منها..
الأحلام التي ستعطيني دفعًا في الحياة..
والأشياء التي ستعطي لحياتي معنىً وطعمًا..
والأشخاص الذين ستكون علاقتي بهم مصدر دفء وأمان.
والأشخاص الذين سيلهمونني كثيرًا
والأشخاص الذين سأكون مصدر إلهام لهم ..
توجد الكثير من الأشياء، والكثير منها ..
ستكون حياتي بالتأكيد حافلة جدًا وسأكون مشغولة جدًا لو اهتممت بهذه التفاصيل..

6

أعترف بأني لا زلت أحبك،
إشارة صغيرةٌ منك تجعل قلبي عصفوراً صغيرًا يحلق بخفة
أتساءل .. هل أحاول أن أشعر أني لست منبوذة منك؟
ربما يكون هذا ما يؤلمني بشدة !!
ويجعل أي إشارة منك بالقبول تريحني كثيرًا..

7

اليوم في صلاتي قلت : "إلهي أحببني كما أنا، واجعل الآخرين يحبونني لما أنا عليه"..
لا أستطيع أن أكون إلا هكذا..
شديدة الحساسية، ودائمة الحزن، ومحبة للصمت..
«اجعلني أقبل نفسي، وساعدني ليقبلني الآخرون فلا أشعر أني منبوذة ولا تؤلمني خلافاتي معهم..
ساعدني لأفهمهم وليتفهموني..
لك الحمد على هذه الليلة المغمورة بالسكينة».

الرسالة الواحدة والعشرون: بعض الجنون!

الساعة تجاوزت منتصف الليل بقليل
ما أبقاني متيقظة هو قليل من الغضب الذي زال وحلت بدلًا عنه طاقة مجنونة..
أعرفها من اتساع ابتسامتي ورغبتي في الضحك بشكل هستيري، ومن لمعان عيني الذي يصبح أشد توهجًا..

1

في صغري كنت أظن أن لكل الأشياء روحًا وأنها جميعًا تحس مثلنا
كنت أستند أحيانًا على الجدار أو أقف على الكرسي لوقتٍ طويل لكيلا تشعر الأرض بالألم من وقع أقدامي على وجهها..
ثم يخيل إلي أن الجدران تئن تحت ثقلي، وهكذا حتى يصيبني التعب من التمسك بالأشياء والتعلق عليها رفقًا بالأرض ورحمةً بها من أن تتوجع ويتعبها حملي..
أظنني كنت محقةً إلى حدٍ ما، لكل الأشياء أرواح وأحاسيس، كل الأشياء دون استثناء ..
لكن ليس بالطريقة المضحكة التي ظننتها أبدًا ..
..

الآن عندما أتذكر تلك الأفكار أبتسم.

2

لوقتٍ طويل أردت أن تكون طاقتي الروحية في أعلى ما يمكن، وإنسياب الطاقة في جسدي يكون مذهلًا متدفقًا بالحياة، حتى يعمل عقلي وحواسي وإدراكي وردود فعلي بقوة عالية، أن أحس بدهشة الحياة ذاتها التي يحسها مولود رأى النور لأول مرة، والفرحة نفسها برؤيته وجه أمه للمرة الأولى.

محاولاتٌ كثيرة ونتائج ليست مرضية لأمدٍ بعيد، سرعان ما يبهت كل شيء وأصاب بالتعب لأن مصادر الطاقة الداخلية محدودة..

كنت أقرأ عن "الروح الكلية" أو "النفس الكلية" و"روح الأرض" وعن طقوس الامتلاء بالطاقة لكني لم أجد ما يشبع احتياجي ولا يجيب عن أسئلتي، لذا قررت أن أبتكر طقوسي الخاصة بناء على ما تعلمت ..

منذ اليوم ولـ 21 يومًا سأمارس التأمل على الطريقة الهندية قبل شروق الشمس وأنتظر الشمس أن تشرق علي..
سأكون جالسة باتجاه الشمال، وحولي أربعة أحجار تحدد الاتجاهات الأربع عند وصلها بالنقطة في أعلى رأسي تشكل هرمًا، يفترض أن الأهرام لها خاصية تجميع الطاقة أو أن الطاقة في داخلها تكون أعلى ما يمكن..
الـ ٢١ يومًا هي المدة الزمنية الكافية بالتحديد لاكتساب عادةٍ ما، ضوء الشمس مهم جدًا لأنه مصدرٌ للحياة ورمزية للبداية الجديدة، أما الاتجاهات الأربع فهي إضافةً إلى جلوسي على الأرض تصلني بها وتجعلني متوافقة مع دفق الطاقة المغناطيسية في الأرض، والشكل الهرمي يسمح لي بالحصول على أكبر قدرٍ من الطاقة المتصاعد من الأسفل للأعلى حيث سيلتقى بدفيء الحياة المنبعث من نور الشمس..

أشعر أني مصابة بداء الجنون وأنا أبتكر هذه الطقوس الخاصة بي، أرجو أن أحصل على شيء جديد بانتهاء الأسابيع الثلاثة..

(ملاحظة: لم أستمر أكثر من أربعة أيام.. شعرت بالملل ..)

3

الآن أعرف مدى فداحة آلامي،
لو كانت شيئًا أتقاتل مع الناس عليه، لكان أمرًا سهلًا ومسليًا القيام به، لكن علي أن أتقاتل مع نفسي وأن أدوس عليها كثيرًا رغم أوجاعها..
لهذا أصبحت آلامي مضاعفة..
أصبح بإمكاني أن أميز وجه كل شعورٍ من مشاعري..
لكل مشاعري ملامحٌ مميزة..
رغم أن الأجساد التي تحملها واحدة بملابس تتشح بالسواد..
لكن وجه الحزن المغمض العيون والفم لا يشبه وجه الوجع الممتلئ بالتجاعيد دون ملامح كجلد رقبة كلب بولدوغ عجوز!

ووجه الألم مثل وجه طفل دامعٍ علقت إصبعه في الباب..
ووجه الامتعاض مثل ليمونة تذوق نفسها للمرة الأولى !
أما وجه الخوف تمثال شاحبٌ فاغر فاه ولا سواد في عينيه الجاحظتين..
وجه الكآبة رمادي لا ملاح فيه ولا انحناءات ..
مجهولٌ غادرٌ أعرف أنه يفتح فمًا خفيًا ويلتهم الأرواح قطعة واحدة..
لكل مشاعري وجوه وأنا أعرفها واحدًا واحدًا..
أرقبهم بنصف عين من تحت ذراعي التي أتوسدها حين أبكي ويتحلقون حولي يراقبون لحظات ضعفي ..
يتبادلون الأدوار في تعذيبي..

4

مر ما يقارب الثمانين يومًا على رحيل والدتي،
ولا زلت لا أعي ذلك..
لا زلت أنتظرها ..
لا زلنا ننتظرها ..
ماذا أقول لإخوتي الذين وعدتهم بأنها ذهبت لرحلة قصيرة وستعود؟
لا تزال الحقيقة تصفعني وتؤلمين، فأبكي مثل طفلٍ يكرر السؤال ويلقى ذات الإجابة التي لا يفهمها ..

«كَأَنَّ طِفَلاً بَاتَ يَهْذِي قَبْلَ أنْ يَنَام :

بِأَنَّ أمَّـهُ - التي أَفَاقَ مُنْذُ عَامْ

فَلَمْ يَجِدْهَا ، ثُمَّ حِينَ لَجَّ في السُّؤَال

قَالوا لَهُ : " بَعْدَ غَدٍ تَعُودْ .. " -

لا بدَّ أنْ تَعُودْ

وَإنْ تَهَامَسَ الرِّفَاقُ أنَّـها هُنَاكْ

في جَانِبِ التَّلِّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللُّحُودْ

تَسفُّ مِنْ تُرَابِـهَا وَتَشْرَبُ المَطَر « - أنشودة المطر، السياب-

..
هل حقًا ماتت أمي ؟
كيف ماتت؟
أعرف الإجابة!
لكني أتمنى أن أسأل أحدًا ليجيبني عن هذه الأسئلة ..
وحده الله يعلم ما بالقلب من كمدٍ ، ومن فقد ولوعة يمزق الأحشاء.

الرسالة الثانية والعشرون: رسالة آخرى ليست لك!

1

ثمانون يومًا يا أمي!

قطع بها أناسٌ رحلة حول العالم وعادوا..
وأنتِ لم تعودي من رحلتك!

لماذا يا إلهي؟!
أنا لا أعترض لكني أحتاج أن أفهم، لا أفهم كيف تكون أمي هي ما يسكن تحت قطع الأحجار تلك!
أواه يا حبيبتي..
كيف تجرأوا وتركوك وحدك؟!
أريد أن يطمئن قلبي أحدهم أنك بخير، وأنك سعيدة حيثُ أنتِ!
وأن هذا هو الخلاص لك من آلام حياتنا ..

قلبي يحترق ولا تكفي كل الدموع التي أسكبها شلالاتٍ لإطفاء ناره
آه يا حبيبتي
يا من كنتِ أمًا لكل الناس أين قسمتي من دفئك وحنانك؟!

لم لم تعودي؟
كان لديّ الكثير مما أردت قوله لك،
أحتاج بشدة ابتسامتك التي تدعمني حين أهذي بجنون ..

أواه يا إلهي، حياتي دومًا كانت مليئة بالآلام والدموع، ألا يكفي ذلك؟

الآن!
أنا حقًا متعبة يا إلهي..
أشفق عليّ أرجوك .. أحتاج قليلًا من الفرح

نامي بسلامٍ يا حبيبتي، لن أزعج منامك ولن أقلق راحتك بآلامي، فقد اكتفيت من الآلام والأوجاع في حياتك ..
زوريني الليلة في منامي أرجوك، ضميني إليك وأخبريني أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنني قوية مثل أشجار الغابة وسأكون دائمًا بخير.
ودعيني أقبل ما بين عينيك وخدك الأيمن، اسكنيني دومًا كالنور .. واهمسي في أذني أنك دومًا أحببتني كثيرًا، وأن قلبك كان مملوءًا بالشفقة علي والمحبة لي..
ضعي يدك على قلبي .. علها تسكن أوجاعي قليلًا .. وامسحي دموعي الغزيرة بكفيك، دعيني أمسك يدك لبعض الوقت، ودعينا نبقى معًا هكذا ولو قليلًا ..
نتحدث كما لم نفعل قط هنا في هذه الحياة.

قولي لي أني لست مخلوقًا تعسًا أبدًا ..
وأن قسمتي من الآلام قد استنفذ أكثرها، وأن السعادة والفرح يخبئان لي مفاجآت كثيرة، وغطيني جيدًا لأنام بسلام..
أتمنى لك ليلة جميلة في جنتك التي تسكنين يا حبيبتي.

2

لا أجرؤ على فتح عيني في هذه الظلمة،
أشعر بآلام في صدري، وأخشى أن أفتح عيني لأجد ملك الموت واقفًا أمامي، حتمًا أفضل الموت نائمة، أو مغلقة العينين على الأقل!

يدي ترتجف بفعل الأدوية، لا أحب السعال لأنه يحرمني الاسترخاء وينهكني..
وحين استمعت إليه بأذنين مغلقتين كان كأنه آتٍ من جرحٍ في رئتي، جرح كبير .. مع كل نفس يدخل فيه هواء موجع وخروج هذا الهواء أشبه بانتزاع الحويصلات الهوائية معه من أعماق رئتي..

اليوم تأملت لوقتٍ طويل..في الظلمة الدامسة!
استلقيت في وضعية الجثة وأغلقت عيني، وسددت أذني بأصابعي، أصبحت أسمع صوت أنفاسي المختنقة تمر عبر صدري، ورجل الطبول الذي يقرع قلبي بحماسةٍ وكأنه في سباقٍ لا نهائي ..
أحس بوقع الأقدام على الأرض وأضحك، لو أن أحدًا سلط على وجهي نورًا لحظتها لأقسم بأني مصابة بالجنون !

مدهش ذلك الشعور الذي يمنحك الاحساس بجسدك، بروحك، بطاقتك..
لازلت لا أحسن رؤية ما يحدث لي ، لكن في لحظة ما رأيت الظلام يغمرني مثل حبرٍ أسود راقدة أنا في قاعة..
ثم تتالت صورٌ غريبة لا أدري ما هي،
وبأنفاسٍ عميقة كان الحبر الأسود يتلاشى

الرسالة الثالثة والعشرون: شيءٌ من الضياع..

1

ما يقارب العشرين ساعةً قضيتها على السرير، كان لدي الوقت لأفكر وأفكر مرارًا.. ثم لا أصل لشيء!

الآن امتلكت بعض الطاقة لأغادر الفراش اللعين وأحاول عمل شيءٍ غير اللاشيء والاستلقاء..
لم أعد أتأمل في النهار بتاتًا، أفضل أن أنتظر الظلام، حين ينام الآخرون ولا أعود أسمع سوى صوت أنفاسي وتكتكة الساعة ونباح كلبٍ آتٍ من بعيد..
تعبت من التفكير والتأمل، ومحاولات التركيز على طاقتي الداخلية والهالات الملونة ومراكز الطاقة والاتصال بالمصادر الطبيعية للطاقة..
تنتابني حالات ضيقٍ شديد، لا أطيق فيها أحدًا ولا نفسي، أفقد شعوري بكل شيء، أفقد الإحساس بالآخرين، وأتسبب لهم بألمٍ بالغ..
وأحيانًا أشعرأني لا أتواصل معهم،وأتعمد إغضابهم، وصب اللوم عليهم وتجاهل انفعالاتهم ومشاعرهم..
لا أدري حقًا ما الذي يحدث لي..
ليس أمرًا يسهل التحكم فيه، أو معرفته!

في لحظة ما، أشعر أن حياتي كاملةً أمامي .. كلها .. بأدق ملامحها، بأصغر تفاصيلها، أشاهدها وكأنها لم تكن حقًا ..

ليس لدي حلمٌ ولا حتى صغير، هل تلاشت كلها؟!
هل كانت لدي أحلامٌ مسبقًا ؟.. كل أحلامي ورغباتي تبدو كومضة ضوء تتلاشى سريعًا ..

لا شيء أعيش لأجله، ولا أرغب في شيء.. وأعلم إدراكًا أن ما أمر به يدعى "الاكتئاب" ..
لا طموح ولا آمال.

حافزي الوحيد ودوافعي في الحياة هي الآلام والغضب والأوجاع، تحركني بأقصى طاقتي ثم حين أفقدها أتوقف كجثة هامدة.

إن كان كل هؤلاء الناس الذين يرغبون في الانتحار حولي لديهم الشجاعة لفعل ذلك، لما بقي على

الأرض أحد..

تراودني كثيرًا الرغبة في الانتحار، لكنها لم تعد قوية كما كانت ..
تجربتي مع موت أمي غيرت نظرتي لأشياء كثيرة وأهمها الموت ..
أصبح الموت مصدر رعبٍ شديدٍ بالنسبة لي، لا أجرؤ حقًا على التفكير فيه بعمق كما اعتدت أن أفعل، ما لا أفهمه هو كيف يمكن لكل هؤلاء الناس أن يفهموه ويتقبلوه، أن يستسلموا له حين يأخذ أحباءهم .. أن يستمروا في العيش وهو ينتظرهم !
أو أنهم بكل بساطة يتجاهلون هذه الأفكار!
ليت أحدًا يعلمني كيف أقبل الموت.. كيف أرضى به، وأنا أعلم أنه سيأخذني وكل الذين أحبهم ذات يوم!
كيف لا أستيقظ ذات صباح وأنا أقول: أين أمي ؟! .. هي لم تمت!
ماذا يعني الموت ! .. لا أفهمه!

2

أحاول تناول طعامي مغمضة العينين، أتلمس الطعام في طبقي بيدي، ..
معركة من الضياع ..
لا أعرف ماذا حملت بملعقتي وماذا تركت ؟.. ماذا أسقطت وكيف لطخت وجهي؟.. يبدو الأكل عملية مذلة لمن يفقد بصره!
يحوجك للآخرين، يحوجك لروتين دقيق جدًا حتى لا تفقد ذاكرتك تفاصيله وتضيع في استكشافاتك وتغوص في الاحراج..

أصعد الدرجات وأنزل مغمضة العينين، أعتمد على الدرابزين بكل ثقلي، أتمسك به بشدة وأبحث عن موضع لقدمي في كل خطوة وأتأكد من أني وضعتها على المكان الصحيح بثباتٍ خوفَ الانزلاق في ظلمة العينين المغمضتين..

أصبحت أعرف أن لدينا ما يتراوح بين العشر والاحدى عشرة درجة في كل سلم، بعض الدرابزين لها علامات وخدوش مميزة، تغيير بسيط في ترتيب المكان أو إضافة بعض التفاصيل قد يحدث فوضى حقيقية للشخص فاقد بصره..

لكننا لا نعتمد على حواسنا كلية، إن الاعتماد على حاسة ما يكون مناصفة مع وعينا وإدراكنا

ولاوعينا وذاكرتنا، لذا إن فقدنا إحدى حواسنا، لا نفقد كل شيء متعلق بها ..
وهذا يذكرني بصديقة فقدت بصرها مبكرًا، كانت تقول لي عن نفسها وزميلاتها؛ نحن "مبصرات» - من كلمة بصيرة.

3

أقر بأني أفتقدك، ولا أزال أحبك كثيرًا، لكني قررت أن أخبيء مشاعري وأحتفظ بها لنفسي...
لا أدري حقًا ما علي فعله بخصوصك، وبخصوص التفكير في علاقة آخرى!
لا أدري حقًا!
مر شهر منذ أن ودعنا بعض.. ومرور الوقت لا يشفي الوجع ولا يطفيء النيران ..
مرور الوقت يجعلني أعمق، أكثر فهمًا لما حدث بيننا، لم يكن لدي متسعٌ لأفهم وقتها .. والآن أصبحت أفعل
لا يحل الوقت الأمور ، إنما ما نفعله خلال هذا الوقت!
ومروره يجعل كثيرًا من الأمور أصعب علي، ومنها رحيلك ...
يخيل إلي أنك ربما قد تقتل أو تموت وأنت بعيد جدًا عني، فأتألم بشدة من هذه الفكرة..
ثم أحاول ألا أبالي، فأنت ابتعدت عني وأردت ألا أكون في حياتك..
ومن العدل ألا أبالي بك ..
ليتني أستطيع فعل ذلك !

الرسالة الرابعة والعشرون: صداقتي معي

1

في وقتٍ ما ..
أردتُ أن أعرف الكثير عنك، رغب بشدة في زيارة كل الأماكن التي كنت فيها، منزلك في القرية، رؤية والديك، مدرستك الابتدائية، أماكن لعبك .. جامعتك .. مقاعد الدراسة التي جلست عليها، الممرات التي عبرتها ..
كل مكانٍ زرته.. جلست فيه..أكلت فيه.. أونمت فيه..
أن أرى الناس الذين تقابلهم، تعمل معهم .. أن أشاهد كيف تعمل؟ كيف تتحدث مع الآخرين غيري ؟ .. كيف تلعب الكرة ؟ .. كيف تسبح؟..

أتذكر هذا الآن وأفتقدك جدًا ، مثلما يفتقد الأحياء أمواتهم بلا أمل!

أبتسم بحزنٍ وأقول لقلبي: تبدو دافئًا جدًا بذكرى هذا الطفل الأحمق، لا شك أنك أحببته كثيرًا .. لقد كان يعرف ذلك .. اطمئن.. كان يعرف ذلك جيدًا
حتى وإن أظهر أحياناً كثيرة أنه لا يصدق ذلك
لقد أحببته كثيرًا، وحين أراد أن يكون طيرًا حرًا تركته دون أقفاص أو قيود، يذهب ويعود متى يشاء.. وحين قرر الذهاب للأبد تركته يذهب..

2

تبدو الكلمات مكررة وضعيفة ولا تحمل ما أحسه ولا تفسره ولا توصل شيئًا من أفكاري كما هو .. مهما قلت أو كتبت؛ لا أشعر أنه يصل أو يتجاوز قوقعتي إلى الآخرين ..

لهذا نبدو وحيدين جدًا،
نولد وحدنا .. نتألم وحدنا .. نكابد الحياة وحدنا .. نموت وحدنا ..
قليلة هي اللحظات التي يشترك فيها البشر والتي تجمعهم، لكنهم حتى في تلك اللحظات يبدون منفصلين، مختلفين باختلاف ما يحسونه وما يدركونه

نبدو كعوالم منفصلة تتقاطع عند الأطراف.. الأيدي التي تتماسك، الشفاه التي تقبل، الأجساد التي تتلاقى..

أحاديث العيون..

وتتقاطع كذلك حين نضفي روحًا على ما نرسمه أو نكتبه أو نغنيه أو نعزفه، لحظتها يصل ما أحسسناه كاملًا بدفقة من الحياة مغزولة في نسيج ما صنعنا ..

في كل ما أفعله أمنحه قطعة من روحي، لذا أشعر دائمًا أني منهكة وأنما أفعله يستهلكني كثيرًا .. وأني بحاجة دائمًا إلى طاقة لا نهائية تجعلني أستمر فيما أعمله ومنحه جزءًا مني دون توقف أو فترات خمول، وبتجريب التأمل يبدو كأنه يجدي أحيانًا، وأحيانًا أصغي لقلبي ولأنفاسي ولأفكاري قدر الإمكان .. أحاول أن أبقى على صلة مع «أنا»..

أحيانًا في خضم كل ضوضاء الأوجاع وكارثة الألم تدرك أن صديقك الوحيد والأفضل على الإطلاق هو نفسك، لا أحد سيتفهم مثلك ما تمر به، ولا أحد سيعرف يومًا ما مررت به سواك.

لا تقس على نفسك حين تمر بالكثير..

فهي تحتاجك في وقت كهذا صديقًا يبكي معها وكصدريضمها ليخفف عنها ويخبرها أن كل شيء سيكون على ما يرام.

الرسالة الخامسة والعشرون: أريدُ أن أشعّ وأراني

هكذا تمر بعض الليالي، مبللة بالدموع ورائحة «قطرات المطر»
أسترجع صورًا من المرارة وأبكي
تلتهمني أوجاعي وندم أقاسيه
لدي الوقت ..
الوقت الكافي لأتألم وأبكي، وأكون صديقة نفسي التي تشاركها الكأس المر، حتى آخر جرعة منه، أقف أحيانًا كثيرة بعجز أشاهدها؛ طفلتي التي تتألم داخلي بشدة، وليس بيدي شيء لها سوى البكاء معها، أو التظاهر بالشجاعة وإخبارها أن كل شيء سيكون بخير، وهي ترى أني خائفة أكثر منها لأنها- أي طفلتي أو نفسي – لديها إيمان غريب، بالله .. بالحياة .. بالأمل وبأشياء كثيرة لا أملك أنا إيمانًا بأي منها ..

هكذا تمر ليلة آخرى، متشابهة هي ليالي الدموع..
وتختلف الأسباب التي نبكي من أجلها أحيانًا
وأيامي كذلك متشابهة؛ ما بين شفاءٍ من الدموع أو احتباس للدمع أو ضيق أو ابتهاج بأنه لم يكن أحد ذينك اليومين، أو تهيء للدموع وغصة لا تمر ومذاق بالمرارة يكسو كل شيء..

أتساءل حين تشتعل نارٌ غريبة في صدري، هل تستحق الحياة كل هذا؟!
هل يحيا الآخرون بكل هذه النيران والدموع والوجع؟!
أم أن بقاءهم في زواياهم الآمنة يحميهم من كل هذا وبالمقابل يحرمهم من مذاق الحياة؟!
هل تستحق الحياة أن نبقى في زوايانا الآمنة حيث لا أمان ؟
أم أن علينا أن نخاطر بكل شيء ونرمي كل شيء وراء ظهورنا ونستمر بالعيش؟!

لماذا يحيا الناس وكيف يختارون طرقهم؟
وكيف سيحاسبني الله على أني بذلت جهدي وجربت كل شيء ولم أوذي أحدًا رغم فشلي الذريع في الحياة؟!
لماذا سيعاقبني الله وأنا لم أفسد الآخرين ولا حياتهم إنما اخترت طريقًا مختلفًا يناسب الاختلاف الذي أوجدني عليه؟
وإن أفسدتُ حياتي أنا فلماذا سيغضب علي؟ إن كنت قد جربت وتعلمت وقطعت طرقًا مليئة بالأشواك؟
لماذا سيحرمني رضاه وهو الذي اختار لي أصعب الطرق وأطولها ؟!

لا أعرف الله الذي يحكون عنه!

لكن الله الذي أعرفه داخلي أرادني بالتأكيد أن أحاول بجدية، لأطلق تلك القوة الجبارة التي أخفاها في حناياي..

قوة لا أزال أجهلها، أشعر بها داخلي كامنة بسرية وهدوء، حتى يحين وقت إطلاقها المناسب..

أشعر أنها ستكون شيئًا مميزًا حين أنجح في إطلاقها، ولكل إنسانٍ شيء من هذا القبيل، طاقة كامنة داخله، كلنا لدينا ذات الطاقة ولكنها مختلفة من شخص لآخر.. قليلون هم الذي يدركونها وينجحون في إطلاقها فيشعون بوهجٍ مميز..

أريد أن أطلق طاقتي حقًا وأشاهدها..

أنتظر ذلك اليوم بشغف.

الرسالة السادسة والعشرون : الحنين من جديد

1

بإرادة الإله الواحد الأعظم وبإذنه؛ يكون وجودي في هذه الحياة ..

وفي إطار مشيئته تتم كل أفعالي المتجلية بإرادتي الخاصة أو بدونها ..

ما حاجتي لأقول "بإذن الله " أو "إن شاء الله " عندما أنوي فعل شيء إذا كان وجودي وإطار وجودي ومحيطي، أفعالي وردود أفعالي ومؤثرات بيئتي كلها في إطار مشيئته ولا يحدث فيها شيء دون إذنه !!

هل يعني ذلك إن لم أقلها أنها تحدث دون إذنه أو مشيئته ؟؟!!

أشياء كثيرة تلك التي لا أفهمها، وأخرى أكثر مخبوءة في صدري أعلم أنها ستموت معي وستبقى هناك للأبد، وحده الله يعلم بها ..

2

هل يفيدنا البكاء على هذا الوطن المنكوب ؟ هل سيغير قلقنا أي شيء في مصير الناس هنا ؟ ..

أصبحنا مجبرين على كراهية هذا الوطن مهما حاولنا ألا نفعل !!

كيف تكون هذه الصحراء التي تلتهمنا أحياء، وتلفظنا موتىً، وطنًا ؟

يصبح مذاق الطعام مرًا في فمي حين أفكر في كل أولئك الذين لا يجدون لقمة العيش !

الطحين غالٍ، غاز الطهو غير متوفر وإن توفر فبأسعار مضاعفة ، وشراء الخبز من السوق صعب بسبب ارتفاع سعره وصغر حجمه !

ما الذي سيأكله الناس إن كانوا لا يجدون ثمن الطعام ولا يستطيعون طهوه؟

هل يموتون جوعًا ؟ ما الذي بيدنا أن نفعله ؟ وإن حاولنا المساعدة فإلى أي حد ؟ ما المدى الذي سنصل إليه ونحققه بمساعداتنا إن كان معظم الناس من الجياع ؟

إستمرار هذا الوضع يسحق الطبقة المتوسطة ويعدم الفقراء ..

هو ذاته الشعور الذي أحسه أهل روما حين أحرقها (نيرون)، لم يملكوا إلا صلاتهم وهم يشاهدون إخوتهم يحترقون بانتظار دورهم في الاحتراق !

سحقًا لهذا العجز الذي يقتلنا .. ليتنا نملك شيئًا نغيره ..
ليس لدينا

سوى الكلمات !!

3

سأبكي غدًا لديها، وسأرجوها بشدة أن تخرق قانون المهنة وكل أخلاقياتها ..
أرجوك ساعديني ، ساعديني لأموت !! ..دون أن يبدو الأمر كأنه انتحار ..
أعرف أنك تستطيعين إخباري بطريقة مميزة غير مؤلمة للموت !

ليس لدي ما أعيش لأجله ، ولا رغبة لي بالعيش أساسًا .. وكل الآمال والأحلام احترقت ذات مساء ..

والنور الروحاني الذي كنت أعيش به ولأجله .. رحل بعيدًا مع روحي ..

من الذي يقول أن مساعدة إنسان متعب من العيش على الموت لا إنسانية !!
إنها تخليص من العذاب، تخفيف للآلام .. أليس هذا هو ما تفعلونه أنتم الأطباء ؟!

أم أن عملكم يسير باتجاه إطالة العمر واستمرار الحياة ولا يسير بالاتجاه المعاكس؟
من الذي قرر أنه من حقكم فرض ذلك؟ إطالة عمر العذاب للجموع البشرية البائسة!

ألا يوجد منكم أحد شجاع كفاية ليقدم يدًا للجنس البشري تساعده على الخلاص من حياته المزرية؟!

وبعمله هذا ربما ينهي جينات الكآبة .. ويبقى السعداء وحدهم على الأرض!

4

يبدو أنك تشعر أني لم أعد أخاطبك بهذه الرسائل ، لكنك لا تفارق ذهني لحظة واحدة حين أكتبها ، تكون حاضرًا أمامي وتصغي لكل حرف وكل كلمةٍ بوجهٍ جاد ..

حقيقةً ليس لدي في هذه الحياة شيء أتمسك به غير الكتابة .. وليس لدي ما يبقيني على صلة معك غير هذه الرسائل التي أكتبها لك .. والوقت الذي أقضيه في كتابتها هو وقت ثمين .. يشعرني أني قريبة منك ..

أتساءل ما سر هذا الشوق الجارف الذي استفاض منذ البارحة !
أفتقدك جدًا .. بالنسبة لي أنت أب وأخ وحبيب وصديق روح وابن .. مرآة وجع وسبب للعيش .. ملهم، ودفق للحياة بي ..

وكلما حاولت أن أنساك بالتعرف إلى أحد ما؛ أرى وجهك حزينًا يحول بيني وبينه، وتغلق أبواب قلبي، وأراني أستنجد بك من كل هذا .. ما الذي يحدث لي بربك ؟

دائمًا ..كنت امرأة مخلوقة من اللعنة، لا يستطيع من أحبني أن ينساني .. وأعلق به حتى أدق خلية منه ..

أهو الآن دوري لأذوق كأس اللعنة .. تسكنني حتى أدق ذرة في جسدي ولا أستطيع نسيانك ولا تجاوزك !!
إن هبت ريح أجد ريحك فيها ..
وإن شقشق طير سمعت أنفاسك تسبح ..
وإن نمت ألمحك بين أجفاني وعيني .. وإن صحوت يكون وجهك أول ما أراه ..

قل لي .. أما من طريقة لأنساك؟
أما من سبيل أتحرر فيه من البقاء معلقةً بك رغم كل محاولات النسيان والخلاص؟!

5

الجو خانق هذا الصيف ..

وما بين صيف العام الماضي وهذا الصيف مر عام أشعر فيه أني كبرت عشرة أعوام دفعة واحدة ..

مر عام ، لكنه ليس كأي عام أبدا ..
مرضت فيه أكثر من أي عام ..
كنت على قيد الحياة أكثر مما في حياتي كلها ..
بكيت أكثر مما بكيت عمري كله ..
حظيت بخسارات كبيرة وكثيرة .. وهزائم متتالية ..
شعرت أحيانا كثيرة أني كارثة بشرية تمشي على قدمين، أو مغناطيسًا كبيرًا لجذب الكوارث !
عامٌ فعلت فيه ما لم أجرؤ على فعله طيلة حياتي ..
كسرت كل القوانين، وحطمت كثيرًا من القيود ..
ثرت على كل شيء ..حتى نفسي !
عشت كل أنواع المشاعر حتى النخاع .. وشعرت بقلبي تتفجر فيه الحياة وكل أنواع الجنون ..
عام من الجحيم ..
أذابت نيرانه روح الكاتب فيني .. وأعادت تشكيلها ..
- ألهذا السبب يا إلهي أعيش حياتي ؟..
- لن أعرف حتى أجرب !

6

هل تبلغك النجوم سلامي ؟
هل يوصل القمر ابتسامتي إليك ؟
هل تسمع مع الريح صلواتي لأجلك ؟
هل يخبرك المطر بحنيني وأشواقي ؟
هل تحمل السحب رسائل شغفي إليك .؟
هل تحدثك العواصف بقلقي وخوفي عليك ؟
...
أصغِ إليهم جيدًا .. فإني كلما التقيتهم حملتهم رسائل محبتي إليك ..

الرسالة السابعة والعشرون: جولة أفكارٍ مرهقة!

هنا
هطول غريبٌ للأفكار، سقوط يصدر أصواتًا مزعجة، صورٌ تبرق، أفكار أراها، آخرى أسمعها، بعضها الآخر .. لا أسمعها ولا أراها، أحسها.. ولا تسعفني الكلمات ولا الألوان للحديث عنها، لذا أثرثر عن أي شيء عداها..

1

يبدو الفرح كدبٍ زجاجيٍ مشطورٍ بسيف ساموراي، أحتاج أن أملؤه قبل إعادة نصفيه وإلصاقهما، .. لكن بم؟!
وكل أسباب الفرح شبه معدومة هذا الوقت..
أحضرت الكآبة كافة جيوشها إلى هذه الحياة، وقريبًا ستعلق زينتها وتبدأ احتفالات النصر..

مدينتي التي أعيش فيها موحشةٌ حين تعبر شوارعها، وجوه الناس كئيبة.. متعبة .. مكسورة، أسعار كل شيءٍ ترتفع بجنون، البعض يفقدون وظائفهم، وآخرون مصادر رزقهم، البعض يفقدون منازلهم.. تهدم .. تسلب..تستحل! آخرون يفقدون أفرادًا من عائلاتهم.. يقتلون.. يخطفون.. أو يعتدى عليهم! تتزلزل حياة آخرين، يغادرون المدينة كيفما اتفق إلى وجهة غير معلومة، البعض يمكنه التنازل عن كل ما يمكن أن يدرج تحت لفظ «كماليات» ويستمر بالعيش بصعوبة بالغة، الآخرون.. الذين لم يكن للكماليات وجود في حياتهم، أصبحوا يعجزون عن توفير الخبز والماء!

وكأن الحياة لعبة تصبح مستوياتها المتقدمة أشد صعوبة بشكل غير منطقي أبدًا.
لكننا نتألم بشدة، والأمر ليس لعبةً بالنسبة لنا ..

ذات صلاة منتصف ليلة رادوتني الشكوك.. هل يسمعنا الله إذ نصلي ونستغيث ألا يجعلنا نسحق أكثر مما نحن عليه؟!
أخاف ألا يسمعنا لأنه غاضبٌ علينا!
وإن لم تصغِ إلى شكوانا وصلواتنا يا إلهي فما عسانا نفعل؟

لا نملك إلا صلاتنا إليك.

أتعبنا هذا الوطن الذي أصبح حكمًا بالنفي إلى الموت،
حياتنا أصبحت متعفنةً، كأننا نعيش في ثلاجة موتى لا تعمل..
أريد الرحيل مثل كل الهاربين لكني لا أجرؤ أن أواجه وجه إنسانيتي إن فررت بنفسي ونجوت بها..
إن أرادوا أن يجردوني من وطنيتي فليفعلوا؛
أحتاج أن أعيد تعلم مفهوم الوطنية من البداية،
أما ما نعيش فيه اليوم فليس وطـنًا.

2

للحزن شريط ذكرياتٍ يعيد نفسه دون كلل
أكره المرور بالشوارع التي مررنا بها معًا، أو تلك التي قطعتها في طريقي إليك، أو تلك التي بحثت عنك فيها طويلًا، أكره كل الأماكن التي تذكرني بك، أو تلك التي كنا فيها معًا..
أسمع صدى ضحكاتي فيها

أرى وجهي باسمًا فرحًا.. وينقبض قلبي، لأن ذلك أشبه بوهم..
هل كان كل ذلك موجودًا ؟!
إن كانت مشاعرك نحوي، إو إحساسي بك وهمًا .. فأنا غير موجودة إذًا!
أنا لست سوى وهم وصورة سرابية اعتدت أن أصدقها.

ذكراك تغسلني بحزنٍ لا أفهمه..

وإن أنكرت وجودك ذات حين، وحاولت محوك من كل كراسات ذكرياتي، هل تدعني أنت وشأني؟!

مابال تنقلك على الخريطة يقلقني حتى قبل أن أعلم به؟ يصيبني بهلع!
وحين أعرف أنك تحركت من نقطة لآخرى على وجه الأرض تختفي أسئلتي، وأعرف أن هذا سبب الفوضى في قلبي.

ولماذا أجدك أحيانًا تسكنني زوابعًا ونيرانًا؟ وقلبي منقبضٌ تعاركني عليه في الوقت الذي أكون فيه في أشد إصراري لأنساك!!

كلما شعرت أني أحرزتُ تقدمًا في عجلة نسيانك تهاجمني أنت على غرةٍ، توقظ كل ما أحاول جعله أن ينام..

أعــلن هزيمتي!
في كل ما يتعلق بك، كل الأمور معركة خاسرة منذ البداية، أحببتك ولم تكن لي، أردتك ولم أصل إليك، سعيت لأنساك دون جدوى ..
أعلن استسلامي ..
سأقبلك، سأحبك، .. سأرضى بك كطفلٍ لقلبي، كابنٍ لروحي، ابق هناك بسلام كيفما شئت وحيثما شئت.
بوسعي الآن أن أضحك بأعلى صوتي..
الأمر سخيف، لكني عاجزة عن التعامل معه بشكل طبيعي، سأفعل مثل أم لطفل لا تفهمه ولا تستطيع التعامل معه، سأقبل الأمر على ما هو عليه، نعم سأبقيك في قلبي ولن أقاومك، لن أغضب عليك، ولن أفكر فيك عميقًا ولا فيما حدث، لن أشتاقك، سأحب وجودك في قلبي، سأنحني لحبك وأستسلم لمشاعري، سأعتني بك داخلي وسأحميك مني، وأصلي لأجلك..

هذا كل ما لدي .. كن راضيًا عن هكذا طريقة.

3

لم أعد أتوجه لله بالسؤال عما ينبغي فعله !

لأنه لن يخبرني أبدا بما علي فعله، وهو لا يريد مني أن أفعل شيئا محددا هو يريدني أن أعيش بكل قوتي، أن أصنع نفسي ..أن أخلق حياتي ..
أن أعيش كما أرغب .. كما أتمنى، أن أبني أحلاما وأحققها ..
أن أحلق بحرية في أعلى السماء كنسر ..
أن ألمس أعماق المحيط مثل حوت كبير ..
أندفع بقوة مثل شلال هادر ..
وأن أنفجر كبركان .. أشتعل كلهيب الشمس .. أبكي كهطول المطر ..
أضحك بفرح حتى تشع في عيوني النجوم وتسبح فيهما الملائكة ..

الله يريدني أن أعيش أن أجرب ..

أن أخطئ وأرتكب الحماقات، وأغرق في توهاني، ثم أجد طريقي بنفسي
أن أنقذ نفسي بنفسي، لأنه لا يساعد العاجزين عن مساعدة أنفسهم ، ولا ينقذ الذين لا يحاولون إنقاذ أنفسهم ..
إلهي يريدني أن أقتص لنفسي إن ظلمت ، وأن أسامح إن قدرت، وأن أصبر إن عجزت لوقت قدرتي ..

إلهي لا يحب العاجزين ولا المتكلين، ولا الذين ينتظرون منه أن يخبرهم عما ينبغي فعله ..
يحب الأذكياء الذين يجيدون قراءة إشاراته لمساعدتهم للوصول إلى ما يريدون ..
يحب الأقوياء الذين ينظرون في عيون الحياة بقوة حتى يقهرونها ...
يحبنا إن أحببنا أنفسنا وألبسناها حلل الإنسانية وفجرنا فيها طاقتها الكامنة ، واندفعنا بكل قوانا للحياة ..
لأن هذا الاندفاع هو الوقود الذي نصنع به جنتنا الموعودة ..

ونحن حين نحلم ونتخيل ونعمل بكل قوانا نبني عالمنا الأكمل ..
هذه الحياة ليست سوى تجربة صغيرة، نموذج مبسط لما نحاول أن نصل إليه ، ولهذا لا ضير أن نخطئ هنا أو نجتهد أو نحاول بطرق مختلفة ..

الأهم ألا نكرر أخطاءنا وألا نعلق في مناطق توقف الطاقة في أنفسنا ..لأن ذلك يجعل وقتنا المخصص لبناء جنتنا أقصر .. وتصبح أقل كمالًا مما نريدها أن تكون ..

4

لازلت كما عرفتني، أسير حافية القدمين في كل مكانٍ وأي وقت..
أحب أن تلمس قدمي الأرض، باردةً كانت أم ساخنةً، خشنة أم ناعمة، أحببت دائمًا أن أكون على اتصالٍ بالأرض .. والآن عندما أدركت طاقة الأرض المهولة وتعلمت عنها، أحببت السير حافية أكثر وأكثر..
أرجو أن يهطل المطر قريبًا، أريد أن أغمر قدمي العاريتين في الطين، ليس لأني أعشق رائحة التربة المبلولة بالمطر فحسب، بل لأن الطين الممزوج بماء المطر هو أصل الحياة فينا، ومنبعها الأول، لهذا تصبح قلوبنا رقيقة عند هطول المطر، وتصبح مشاعرنا دافقة كما قالت جدة صديقة لي.

الأمر يحدث كأننا نشاهد ولادة أنفسنا مراتٍ ومرات، وتصيبنا الدهشة ذاتها كل مرة، والفرحة ذاتها، ولهفة الحياة..

أحب جسدي الطيني الفاني، معبر الروح إلى النور، ولحظة اتصال النور في أرواحنا بالحياة في أجسادنا يتدفق جمالٌ وضاء وهالة رائعة.

5

كلما شعرت أني أفقد توازني أختبيء تحت سريري، يشعرني ذلك المكان بالأمان، أعرف كم هومثير للسخرية في سني هذا أن أختبيء تحت سريري كطفل خائفٍ في الخامسة، لكن هذا ما أفعله، حتى يغلبني النعاس أو أستعيد هدوئي.

أتساءلُ لم لم أنتحر عندما كنت في الحادية عشرة عندما شعرت بالاكتئاب لأول مرة في حياتي، ألأني لم أمتلك الوسيلة وقتها ؟ أم لأني لم أمتلك وسيلة ولا شجاعة آنذاك ؟!

مرت علي أوقاتٌ كثيرة أردت أن أنتحر فيها، أن أنهي حياتي، تمنيت أن يقتلني أحدهم .. وصليت لأجل أن أموت!
لسنواتٍ طويلة كانت تلك الرغبة ملحة، وكنت متعبةً جدًا، ولم يكن لدي ما أعيش لأجله.
الآن لا تراودني تلك الفكرة كثيرًا، وإن مرقت برأسي سرعان ما أزيلها، أصبح لدي ما أعيش لأجله الآن، أصبحت أملك سببًا للعيش!

أشعر بالإرهاق بعد جولةٍ مجنونةٍ في أفكاري، سأعاود الكتابة إليك في وقتٍ لاحق، أو في يومٍ آخرٍ ربما، وحتى أفعل.. ابقَ هادئًا بسلامٍ في قلبي.

الرسالة الثامنة والعشرون: غارقةٌ في أفكاري مجددًا

بالأمس كنت ملكًا متوجًا على قلبي، يريد ما تريده، وكل ما يتمناه هو رضاك..
اليوم أنت طيرٌ حرٌ في قلبي تحلق حيث تشاء، تسرح وتمرح مليء أرجائه دون قيود..
وأنا مستسلمة لك، لا أحبسك، ولا أطردك، ولا أسألك البقاء ولا أرجو ذهابك..
ولا أسأل نفسي ولا أسألك : إلى أين؟

1

هذا الصباح معزولةٌ أحاسيسي عما حولي، تفوح فيها رائحة ضيقٍ متعفن..
لا يدخل الهواء صدري، لا أسمع صوت العصافير، لا مذاق لكوب قهوتي، لا أريد أن أفعل شيئًا، لا أريد أن أقابل أحدًا..
هذا يومٌ من الأيام التي أرغب بشدة أن أبقى فيها على السرير دون حراك، أعيد النظر في كل شيء، دون اتخاذ قرارات، دون أن أصل لشيء..
يصبح هدفي ألا يقاطع أحدٌ إختلائي بنفسي، وأعقد إجتماعًا مطولًا مع الضجر والضيق والاحباط، ومهما وجدت من الأسباب لكل هذا، لا أجدها كافية أو مبررة لهذا الضيق..
أحاول تقبل نفسي وإعوجاجها..
أحاول أن أتفهم ما تمر به رغم أني لا أفهمه،
أقول هذا جسدي يتحدث، ربما .. أو ربما .. ، وأفترض قائمة من الأسباب وأبدأ بإزالتها سببًا سببًا، وأصغي لأحاديث قلبي.. وأسترجع ما حدث طوال الأيام الأخيرة بحثًا عن أسباب ضيقي وضجري وقلقي..
وتنتابني نوبة هلع تسبق أو تتبع كل نوبة ضيق، أصبح قلقة ونومي متقطعًا ..
ومنذ قررت القبول بنفسي وأن أحبها لما هي عليه..
أصبحت أحاول التكيف مع كل نوبات القلق والضيق والحزن والاكتئاب، أتعايش معها.. أستعد لها.. أبقى يقظة لإشاراتها ..
وأقدم الدعم لنفسي أثناءها ..
على المرء أن يكون خير صديقٍ لنفسه .. أليس كذلك ؟!

2

ماذا إن أغلقت نافذة العينين ؟
هل تناولت طعامك مغلقًا عينيك ؟ أو قضيت صباحًا مشرقًا دون أن ترى؟!
ووضعت عصابة على عينيك .. وأصغيت لأصوات الصباح، حركة الطيور.. يقظة البشر.. ونسائم الصباح تلمس وجهك..
ثم يداعب دفء الشمس الصاعدة خدك..
أصوات الحياة التي تتدفق في يقظة الكائنات..
هل سمعت الصغار المبكرين يتشاكسون؟
كلاب الحي تتثاءب وتنبح بكسل..
عامل بناء يغني في مكانٍ قريب..
وقع أقدام أخي الصغير ينزل السلم .. جدتي تغادر سريرها.. وتعد شايًا لذيذًا..
هل جربت أن تغسل أسنانك دون أن تفتح عينيك؟
لاشك بأنك تحفظ أماكن أشياءك، ويداك تميزان فرشاتك وتحفظان ملامحها..
فقط امنحهما الثقة بأنهما تعرفان ما تفعلانه..
هل جربت طي ملابسك وعلى عينيك عصابة؟ هل تستطيع تمييز أشكالها؟ وملمس أقمشتها؟ وحوافها؟
ستنجز العمل بإتقانٍ أكبر، وستكتشف كم هو مدهشٌ أن حجم الأشياء حين تلمسها ليس كما اعتدت أن تراها..
ستفتقد الألوان، لكنك ستحس بقربٍ أكبر وشعور مميزٍ تجاه كل قطعة من ملابسك..
مثلما تلمست وجهك ذات يومٍ، أبحث عن تفاصيله، أحاول حفظها غيبًا ..
أفتش فيها عما يحبني منك، عن قليل دفء، أحاول أن أخلدني في كل خلية منه..
لئلا تنساني ما حييت.

الرسالة التاسعة والعشرون: ذاكرة الوجع

إن كان للوجع ذاكرة فهي بالتأكيد أعظم من كل ذواكرنا الآخرى الواعية واللاواعية..

1

ذاكرتي عنك يتآكلها النسيان حتى أظن أني توهمتك أو أنك كنت طيفًا مر على خيالاتي..
من أين يأتي إذًا كل هذا الوجع؟
يصحو من اللاشيء، من لامكان، يلسعني بناره، أصبح مجنونة أدور في فراغات نفسي، مسعورة روحي، لا يسعها مكان..
وكل أخطائي أخشى أن أكررها بسبب هذا الجنون!

هذا الوجعُ رهنٌ بك، ولا أدري إن كان وجع نسيانك لي أم شوقك لي أو وجعًا يعاني معك !
لكنه وجعٌ متعلقٌ بك، فقبلك لم أكن أعرف وجعًا كهذا ممزوجًا بكل اليأس والأمل الأحمقين، وبالقهر والظلم ووجع الحاجة لإنسان والحاجة لإلغائه، وجع الحاجة لابقائه حيًا، والحاجة لنسيانه..
وجع الموت ألف مرة في اليوم الواحد بكل ذكرى وكل صورة وكل خاطرة..
وجع وزر روحك على روحي ..
وحرارة طيف أنفاسك على وجهي..

لا أستطيع نزعك .. ولا نسيانك .. ولا الشفاء منك..

أقر أني هزمت!
أقر أني خسرت كل معاركي معك..
وأنك فزت..
وأنا أكرهك!
غاضبةٌ عليك بقدر ما أحببتك، وبقدر ما أحبك، وبقدر ما سأظل أحبك..
أتجرع ظلمك لي، أغص بجراحي منك، أختنق بقهرك لي..

حزينة لهجرك لي،

ولأنك قطعت كل الحبال، وسددت كل الطرق بيننا..

يؤلمني أني أهدهد وجعي بأملٍ كاذبٍ بعودتك لي..
وأنا على يقين بأنك تبذل جهدك لئلا تعود ..

غيابك يقتلني، وعودتك إن عدت ستقتلني..
وروحي معلقة بك ..
ولا أعرف مهربًا منك إلا الموت!

2

الليلة دعني أحضن وسادتي وأبكيك طويلًا،
أودع بقاياك فيني.. وأدفنها للأبد.

الليلة دعني أطويك ككتابٍ لا أريد القراءة فيه مجددًا ما حييت،
دعني أمحو مرورك الآثم على قلبي وروحي وصفحة حياتي..

دعني أنسى يديك الملطختين بدمي حين غدرت بي،

وشفتيك الملوثتين بأكاذيبك علي..

ثمانية أشهرٍ عمر الوجع الذي حملته حبًا في أحشائي،
الآن ولد كراهية عمياء ومقتًا قبيحًا..
للشخص ذاته الذي أحببته يومًا ..

من قال أن الحب لا يستحيل كراهية؟!
مخطيء جدًا..
الوجع نارٌ جيدة لتحويل الحب إلى مقت، والاحترام إلى احتقار، والوقت كفيلٌ بضمان ذلك.

لذا..
إن التقينا ثانية فتظاهر أنك لا تعرفني،
وإن صدف أننا تحدثنا فتخيل أني شخصٌ آخرٌ وحاول أن تتعرف علي مجددًا ..

نيران البغضاء التي أشعلتها في روحي لا أحتملها، تلتهمني بشراهة، تطفيء ضوء عيني، تحرق ما كنتُه أنا وما كنته أنت بي،
تدمر كل جميل داخلي..
لم يعد بي قوة لاحتمال كل هذا،
لم أعد أقوى على حمل هذه النيران المشتعلة بالكراهية معي..

دعنا نموت معًا إذًا، .. أنا .. أنت .. حبنا.. كراهيتنا ... والألم.

الرسالة الثلاثون: الرسالة الأخيرة!

1

بالتأكيد ستتساءل عن السبب الذي يدفعني لمعاودة الكتابة إليك بعد عامٍ ونصفٍ من التوقف عنها..
وأنا لا أفعل ذلك إلا لأصنع خاتمة لما بدأته مسبقًا، ونهاية لقصتنا معًا.

أريد أن أقول بعد هذه النقطة أني انتهيت منك تمامًا
أني اكتفيت، وأني تحررت منك للأبد..

2

صوت المطر يذكرني بحبّات مسبحة قلبي التي فرطتها على أرض الوجع فغاصت ولم تعد؛
تشرَّبها الوجع أو تشرَّبته حتى أني لم أعد أدري هل الوجع ينبض داخلي أم هي دقات قلبي..

ربما لم أكن سوى امرأةٍ عابرةٍ آخرى في حياتك ككلِّ النساء اللواتي مررت بهن عبثًا "استخدمتها لبضعة أشهرٍ وانتهت صلاحيتها، ثمّ ستطويها مزبلة النسيان".

لكنك لم تكن كذلك بالنسبة لي؛

كنت كل شيءٍ وأشياء كثيرة
متأصلًا من سنواتِ عمري الأولى حتى اللحظة!

لم يكن يفترض بالأمور أن تؤول إلى ما آلت إليه.

ليست هكذا تكتب القصص أو تكون الحياة
أريد أن أبحث عن سبب وجودك في حياتي
لا بدَّ من سبب!
غير أن أدمر حياتك وتدمر حياتي،
غير أن نعبث معًا ونعبث ببعض ثم نتألمُ حتى الموت!

مكانتك باقية مثلَ وسمٍ باسمك محروقٍ على عضلة قلبي..

كرهتك لبعض الوقت
سئمتك كثيرًا
تعبت من انتظارك مرارًا

لكن ثمة شيءٍ منك عالقٌ بي!
مهما حاولت أعجزٌ عن نزعه، عن اقتلاعه .. عن اجتثاته مني.

3

من بعض الوقت أدركت أن علي التعامل معك كمرض لا شفاء لي منه، أن أتكيف مع وجودك داخلي، أن أتصالح معك وأن أبقيك هناك حيث أنت..

أيها المعتوه وجهك يلاحقني في كل مكان ..
أينما ذهبت أفتش عنك في وجوه السائقين . . وعابري الطرقات وراكبي الدراجات الهوائية..
وكل شخص يرتدي بدلة رياضية يركض في مكان ما .. وكل وجه يختفي خلف نظارة شمسية ..

في كل الأماكن التي أظنك تعرفها..
في كل الأماكن التي كنا فيها معًا ..
في كل الأماكن التي حدثتني عنها..
..

عدت أجمع سحابات قلبي المبتل وأرصفها على صفحة وجهي، وأتساقط مجددًا على أوراقي

أبكي حتى يتعبني البكاء كطفلة

يُبكيني كل شيء..

قصائد روضة الحاج

أغنية بلحنٍ جميل

..

حين أجد رائحة عطرك في مكانٍ ما على رجلٍ ما تتهاوى ساقي وتخذلاني ..

..

أتساءل؛ من بين كل الصدف التي تحدث لي، كيف لم نلتقي أنا وأنت مطلقًا منذ عودتك ونحن نعيش في ذات المدينة؟!

هل تعرف كم هي ملحةٌ رغبتي لرؤيتك رغم أني أعرف أنها ستدمرني ؟
هل تعرف ما قد يفعله بي لقاؤك ثانية ؟
كان وجهًا يشبهك فحسب .. وليس كثيرًا، وصدف أني أرتدي نظاراتي ..
سرت صاعقة في جسدي وكدت أنهار مع أني حدقت فيه مرارًا وتأكدت أنه ليس أنت ..
لم يعد لصوتك ذلك التأثير الجنوني علي، .. لكن رؤية وجهك أكد لي كل الذي قد مررت به !

لا أريد حقًا أن أقابلك ثانية ..
أعلم أن ذلك سيقتلني ..
لكن؛
لتبقَ إذًا ..
ربما كخيالٍ ما، كصورةٍ باهتةٍ في الذاكرة لأحداث لا يمكن استعادتها،
كشخصٍ ميتٍ لا يمكن مقابلته في هذه الحياة مجددًا ..

4

الخريف مثل الذي التقينا فيه عاد ثانية،

والشتاء الذي كتبنا فيه قصتنا ..
والربيع الذي افترقنا فيه

والصيف الذي احترقت فيه لوحدي..
جميعهم عادوا ثانية وتكرروا مرارًا ..

وكل تكرارٍ كمَدِ البحر، يأتي ثم يرحل وينتشل بعض ملامح الذاكرة معه وقت الجزر،
ثم لا يعود هناك ما يشبه الأمس!

وحدها ذكرياتنا ولقاءاتنا لا تتكرر ..
لذا خلدتها في رسائلي هذه،
حتى لا أنسى ..
وحتى لا تنسى أنت عبوري الخاطف في سنوات عمرك الطويلة..

حتى لا تذهب دموعي سدىً
ولا تختفي تجربة قلبي أدراج الرياح..

وحتى نلتقي في حياة آخرى، في بعدٍ آخرٍ ، .. في كونٍ آخر؛
كن بخير.

المرأة التي ظنت أنها لن تشفى من حبك أبدًا ... ...وشفيت.

" خيبرا!!؟

وأنا امرأةٌ ثرثارةٌ لا تحملني الكلمات ؛